وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة يحيى فارس بالمدية
كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

القسم: علوم إنسانية
الشعبة: تاريخ

تخطيط وعمارة المدن في المغرب الإسلامي (قبل ق5هـ / 11م) من خلال كتاب المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب لأبي عبيد الله البكري (ت.487هـ / 1094م)

مذكرة مقدمة للحصول على شهادة الماستر في تخصص: تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط

إعداد:
سميحة شاوي
ختومة بوسعادي

الأستاذ المشرف:
أ.د/ موسى هيصام

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الصفة
حمزة حاجي	أستاذ محاضر أ جامعة المدية	رئيسا
موسى هيصام	أستاذ التعليم العالي بجامعة المدية	مشرفا ومقررا
عبد العزيز حاج كولة	أستاذ محاضر ب جامعة المدية	عضوا مناقشا

السنة الدراسية: 2023/2022 – 1443ه/1444ه


بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

الشكر لله أولا وأخيرا الذي وفقنا لإنجاز هذا العمل.

ثم نتقدم بالشكر الجزيل وأخلص التقدير، لأستاذنا المشرف أ.د/ موسى هيصام، الذي منحنا من عمله الغزير ووقته الثمين، ما أعاننا على مواصلة البحث والدراسة، ونسأل الله عز وجل أن يجعله نبراسا وذخرا للطلبة إنه نعم المولى ونعم النصير، كما نتقدم مسبقا بجزيل الشكر للجنة المناقشة، على قبولها تقييم هذا العمل.

والشكر موصول لكل أساتذتنا في قسم العلوم الإنسانية، ونخص بالشكر أساتذة تخصص تاريخ الغرب الإسلامي، وإلى كل من له فضل علينا ونجن ندين لهم بكل العرفان و الامتنان.

كما نخص بالشكر وليد قريشي الذي ساعدنا ولم يبخل علينا بمد يد المساعدة حفظه الله ورعاه.

الطالبتين : بوسعادي ختومة وشاوي سميحة

الإهـــــداء

أهدي ثمرة جهدي هذه إلى من قال عنهما سبحانه وتعالى :<< وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا>>.

إلى من حاكت سعادتي بخيوط منسوجة من قلبها، إلى التي رأتني بقلبها قبل عينيها نهر الحب ونبع الحنان المتدفق الذي لا يجف، سر وجودي وبلسم قلبي إلى من منحتني الصبر والقوة، وكان لها الفضل في نجاحي، والتي يعتبر نجاحي هذا نجاح لها .

إلى الحبيبة أمـــــي.

إلى من سعى وشقى لأنعم بالراحة والهناء، ولم يبخل بشيء من أجل دفعي إلى طريق النجاح ، إلى من علمني الارتقاء في سلم الحياة بحكمة وصبر، إلى من رفعت رأسي عاليا افتخارا به

أبي الغالي .

إلى الركائز التي أتكئ عليها إخوتي: موسى، توفيق، وعمي صحراوي .

إلي حبيباتي قلبي وقطعتا روحي أختَّي صفية وأية.

إلى شمعة العائلة المضيئة جدتي عزيزة.

إلى كل أقاربي كل باسمه ومكانته.

إلى رموز الصفاء في زمن اللا صفاء صديقاتي ورفيقات دربي.

إلى كل من ابتسم في وجهي، وأسعده قولي وقدم الجميل من أجلي، إلى كل من حملتهم ذاكرتي ولم تحملهم صفحتي.

سميحة

الإهـــــداء

أهدي ثمرة جهدي هذا:

إلى الروح الطاهرة التي افتقدتها طوال هذه السنين، تغمدها الله برحمته وأسكنها فسيح جناته وأمدها من ميزان حسناته: أمـــــــــي.

إلى من تمنيت أن يراني بثوب التخرج، إلى الروح الخالدة في قلبي رحمه الله وأسكنه فسيح جناته: أبـــــــــي.

إلى روح جدَّي رمزَّي العطاء، جدي البشير وجدتي فاطنة رحمهما الله.

إلى الروح الطيبة التي اعتبرتها أختي هدى شتوي.

إلى الذي لم يبخل علي بأي شيء، إلى من سعى لأجل راحتي ونجاحي، إلى أعظم وأعز رجل في الكون:

عمي لمبارك .

إلى من لم تكفي كلماتي لوصفه إلى رمز البهجة والسرور: خالي جمال.

إلى من علمني أن الدنيا كفاح وسلاحها العلم والمعرفة: خالي محمد.

إلى زهرات حياتي، وكنزي الغالي أخواتي: فاتي، شهرة، أمينة، زينب ونور الهدى.

إلى من ظفرت بهم هدية من الأقدار إخوتي: فارس، جمال، البشير ومحمد.

إلى براعم العائلة: رودينة، رهف، عائشة، فرح، وردة، أميمه.

أقدم إهداء خاص إلى: زوجة خالي حسينة، وزوجة عمي صبرينة، وابنة عمي نوال، وبنات أخوالي خولة ولينة وهاجر.

إلى كل أقاربي، وأخص بالذكر عمي مراد، وجدتي ختومة.

إلى من أسعد برفقتهن اللواتي تقاسمت معهم الحلوة والمرة رفيقات دربي:

أماني، سميحة، فتيحة.

إلى كل زملاء الدراسة وأخص بالذكر أحلام، نورالهدى، مروة، فطيمة، مها، أحلام دريادي، فدوة، بدرو وإسلام.

إلى كل من نسيه القلم وحفظه القلب.

ختومة

قائمة المختصرات

الرمز	المعنى
ط.	طبعة
ج.	الجزء
ت.	تاريخ الوفاة
ق.	القرن
ه.	التاريخ الهجري
م.	التاريخ الميلادي
د.ت.ن	دون تاريخ نشر
د.ط	دون طبعة
ص.	الصفحة
د.د.ن	دون دار نشر
تح.	تحقيق
تق.	تقديم
تر.	ترجمة

مقدمة

تزامن انتشار الإسلام وتوسعه في بلاد المغرب الإسلامي، تأسيس وازدهار العديد من المدن الإسلامية في المنطقة، وارتبطت ارتباطا وثيقا بالإسلام ونظمه، وأصبح المحور الأساسي الذي تدور حوله نشاطات المدينة سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وثقافيا، وتخطيطها ونسيجها العمراني.

إذ عرفت بلاد المغرب الإسلامي ظهور حواضر إسلامية عدة، اختلفت مواقعها، وظروف نشأتها، والمؤثرات الملازمة لتطورها، وذلك وفقا لمنهج إسلامي محدد، وهذه المدن التي قامت في بلاد المغرب منها ما أسست على أرض بكر، ومنها ما أسست على أنقاض حضارات سابقة إما إغريقية أو قرطاجية أو رومانية أو بيزنطية، والتي ورد ذكرها في مصنفات الجغرافية التاريخية آنذاك، ولعل أهم تلك المصنفات، كتاب البكري الموسوم بـ: "المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب"، هذه المدن التي عددها البكري ووصفها وصفا دقيقا، ومن هذا المنطلق جاء موضوع دراستنا الموسومة بـ: **"تخطيط وعمارة المدن في المغرب الإسلامي من خلال كتاب المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب" لأبي عبيد الله البكري.**

أسباب اختيار الموضوع :

كان من أسباب اختيارنا لموضوع هذه المذكرة، أسباب موضوعية، وأخرى ذاتية:

أما الذاتية، فتمثلت في:

- رغبتنا في الإلمام بتاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط من كل جوانبه، والتعمق في ثناياه.
- توسيع دائرة معارفنا، فيما يتعلق بتخطيط وعمارة مدن المغرب الإسلامي.
- انتمائنا لمدينة آشير الأثرية، ورغبتنا في معرفة تاريخها والتعريف به.

أما الموضوعية، فأجملناها فيما يلي:

- دراسة ما قدمه لنا البكري في كتابه هذا، الغني بالمادة الجغرافية التاريخية، والمعلومات القيمة، والتي تخص مجال تخصصنا في طور الماستر، والاستفادة منه.
- أهمية الموضوع في حد ذاته، والتعمق في الجانب العمراني على وجه الخصوص، في بلاد المغرب الإسلامي في الفترة الوسيطة.
- دراسة مصدر من أهم مصادر التاريخ الإسلامي، والذي نقل لنا جوانب عديدة من هذا التاريخ، خاصة الجانب العمراني.

أهمية الدراسة :

تكمن أهمية هذه الدراسة، في تناولها جانبا هاما من جوانب تاريخ الغرب الإسلامي، في العصر الوسيط، وإبراز دور الإسلام و تأثيره على كل جوانب الحياة في المغرب الإسلامي

خاصة العمراني، وبالتحديد تخطيط وعمارة المدن، التي ذكرها أهم كُتاب هذه الفترة، وهو الجغرافي أبو عبيد الله البكري، في كتابه المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب.

الإشكالية:

انطلاقا مما سبق طرحنا الإشكالية التالية: ما هي مظاهر التخطيط العمراني للمدن في المغرب الإسلامي التي أوردها البكري في كتابه المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب؟

وللإجابة عنها، وجب علينا طرح التساؤلات الفرعية التالية:

1- من هو عبيد الله البكري؟
2- ما هي أهم المراكز العمرانية التي قامت ببلاد المغرب الإسلامي التي أوردها البكري في كتابه المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب؟ وكيف تم تأسيسها وتعميرها؟ وما هي شروط تأسيسها؟
3-كيف ورد ذلك في مصنف البكري؟

أهداف الدراسة :

تهدف هذه الدراسة إلى:

- معرفة كيف كان تخطيط عمارة المدن في بلاد المغرب الإسلامي.

- مميزات العمارة الإسلامية في المغرب الإسلامي .

- معرفة الظروف والشروط التي ساهمت في تخطيط وعمارة مدن المغرب الإسلامي سياسية ودينية ومناخية.

- إبراز ما كتبه البكري، عن تخطيط وعمارة مدن المغرب الإسلامي.

الدراسات السابقة :

تمثلت الدراسات السابقة في:

- مذكرة لنيل شهادة الماستر تخصص تاريخ وحضارة الغرب الإسلامي في العصر الوسيط بعنوان: " المراكز العمرانية في المغرب الإسلامي (مدينة سجلماسة 140- 757/597ه- 1393م أنموذجا)" لزينب بكاري (منشورة).

- مذكرة لنيل شهادة الماستر تخصص تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط الموسومة ب:" تأسيس مدم المغرب الأوسط مابين القرن 4-6ه/ 10-12م من خلال مصنف نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري(733-667ه/1278-1333م) لوليد يسعد وحياة يسعد.

-كتاب المدينة الإسلامية ودورها الحضاري ببلاد المغرب الأوسط للطاهر الطويل.

المنهج المتبع في الدراسة :

لمعالجة موضعنا هذا، اتبعنا:

المنهج التاريخي الوصفي: نظرا لطبيعة الموضوع والذي تطلب سردا للأحداث، وتتبعها والتأريخ لها وتمحيصها، وكذلك لطبيعة مصنف البكري الوصفي، وأيضا لطبيعة دراستنا، في وصفنا للمدن والأمكنة في بلاد المغرب الإسلامي.

المنهج الاستقرائي والمنهج المقارن: وذلك من خلال قراءة واستخراج، ما جاء به البكري في مصنفه، ومقارنته مع ما جاء به أبرز كتاب عصره عن المدن

الخطة المعتمدة في الدراسة:

اعتمدنا في بحثنا هذا، على خطة مقسمة إلى مقدمة وثلاث مباحث وخاتمة، بالإضافة إلى الملاحق والفهارس.

المبحث الأول: جاء تحت عنوان" دراسة المصنف والمؤلف"، عنونا العنصر الأول فيه ب:" ترجمة المؤلف " تحدثنا فيه عن حياة البكري (اسمه، نسبه، مولده، نشأته ووفاته)، وأيضا عن حياته العلمية (شيوخه، تلاميذه ومؤلفاته)، وأخيرا عصره (سياسيا واجتماعيا وثقافيا) والعنصر الثاني بعنوان "دراسة ظاهرية للمصنف والتعريف به" جاء فيه كل من : دراسة ظاهرية للمصنف تعريفه، أقسامه، مصادره ومنهجه.

المبحث الثاني: تحت عنوان" آليات تخطيط وعمارة المدن في المغرب الإسلامي" وقسمناه إلى أربعة عناصر هي: تأثير الفتح الإسلامي على العمارة في المغرب الإسلامي، شروط تخطيط وعمارة المدن في المغرب الإسلامي، مميزات العمارة في المغرب الإسلامي، مواد البناء التي استعملت في بناء المدن في المغرب الإسلامي.

المبحث الثالث: وجاء بعنوان" أهم مدن المغرب الإسلامي الواردة في مصنف البكري" وقسمناه إلى ثلاث عناصر: المدن في المغرب الأدنى، المدن في المغرب الأوسط والمدن في المغرب الأقصى.

عرض أهم المصادر والمراجع المعتمدة في الدراسة:

المصادر:

- البكري أبو عبيد الله (ت. 487ه/1093م) "المسالك والممالك" خاصة الجزء الثاني المعنون ب:" المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب"، الذي كان أساس دراستنا، إذ يعطي مادة بحثية موثوقة حيث قام بمسح شامل، لجميع مناطق ومدن المغرب الإسلامي.
- ابن خلدون عبد الرحمان (ت.808ه/1405م)" المقدمة" بجزئيها الأول والثاني والتي ورد فيهما شروط تأسيس المدن في المغرب الإسلامي، واعتمدنا أيضا على كتابه" ديوان العبر" في ذكر المدن (مدينة تلمسان).

- ياقوت الحموي (ت.626ه/1228م) " معجم البلدان" والذي اعتمد في التعريف بالمدن، ومقارنتها مع ما جاء به البكري.
- النويري شهاب الدين (ت.630ه/1233م) "نهاية الأرب في فنون الأدب" اعتمدنا الجزء الرابع والعشرين والثامن والعشرين، في ذكر تاريخ بعض المدن، تكميلا لما جاء به البكري في مصنفه، منها ذكره لتعمير مدينة آشير.
- ابن حوقل أبي القاسم (عاش في القرن 4ه/10م) "صورة الأرض"، والذي استعنا من وصفه للمدن.

المراجع:

- كتاب" عمارة المغرب والأندلس في العصر الإسلامي" للكاتب البهنسي صلاح الدين، والذي ساعدنا في المبحث الثاني حول مميزات العمارة في المغرب الإسلامي.

- كتاب"تأسيس الغرب الإسلامي القرنين الأول والثاني الهجريين/ والسابع والثامن ميلاديين " للكاتب جعيط هشام، واعتمدنا على مادته في المبحث الثاني، فيما يخص تأثير الفتح الإسلامي على العمارة في المغرب الإسلامي.

صعوبات الدراسة:

من الصعوبات التي واجهتنا:

- صعوبة استخراج المعلومات من الكتاب، وأخذ ما يخدم بحثنا منه.
- اتساع الإطار المكاني والزماني للدراسة وصعوبة الإلمام به.

وبفضل الله سبحانه وتعالى واجتهادنا تمكنا من تجاوز هذه الصعوبات.

دراسة المصنف و المؤلف

أولا: ترجمة المؤلف

1-حياة البكري

2- حياته العلمية

3-عصر البكري

ثانيا: دراسة ظاهرية للمصنف والتعريف به

1-محتوى المصنف

2-منهج ومصادر المصنف

- **منهج المصنف**
- **مصادر البكري**

يعد كتاب المغرب في ذكر إفريقية والمغرب لأبي عبيد الله البكري، جزء من مصنفه الموسوم ب " المسالك والممالك"، خصصه لذكر بلاد المغرب الذي كان وما يزال من أوفى ما كتب عن بلاد أفريقية، والمغرب وما تعاقب فيها من أحداث حتى منتصف القرن 5 ه/ 11م، وإن مادته من أشمل التواريخ التي كتبت عن المنطقة، خاصة ما يتعلق بالجانب الاقتصادي و العمراني، كونه يعطي البعد المكاني للمنطقة، بعد رسمه صورة الوصف الجغرافي لها، وتركيزه على المدن والحواضر و أحوازها، بشرح ووصف وتحليل دقيق.

أولا:ترجمة المؤلف:

1-حياة البكري:

أ/ اسمه:

هو أبو عبد الله بن عبد العزيز بن عبد العزيز بن محمد بن أيوب بن عمرو[1]، عاش وألف في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري (النصف الثاني من القرن الحادي عشر للميلاد)، وهو بذلك أقدم جغرافي أندلسي وصلت إلينا أخباره [2] .

ب/ نسبه:

يعود نسب البكري إلى قبيلة بكر بن وائل والتي كان لها شأن بين القبائل العربية، والبكري (بفتح الباء الموحدة وسكون الكاف وفي آخرها الراء)، هذه النسبة تعود إلى جماعة من اسمهم أبو بكر وبكر فأما الأول فأبو بكر الصديق رضي الله عنه وفيهم كثرة من أولاده وأولاد أولاده، وأما الثاني فبكر بن وائل وهم خلق كثير، منهم الأسود بن عامر البكري، والثالث منسوب إلى بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة منها عامر بن واثلة الليثي البكري وغيره، والرابع منسوب إلى بكر بن عوف بن النخع منهم علقمة بن قيس [3]، وقبيلة بكر بن وائل قبيلة عظيمة من العدنانية تنتسب إلى بكر بن وائل بن قاسط بن هندب بن قصي بن دعمي بن جديلة بن أسد بن نزار بن معد بن عدنان، وكانت بلادها ديار بكر بن

1- أبو عبيد الله البكري، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ج1، تح مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت، ط، 2009م، ص 17 .

[2] - عبد القادر زبادية، دراسة عن إفريقيا جنوب الصحراء في مآثر ومؤلفات العرب والمسلمين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط، 2013م، ص145.

[3]- أبي سعد عبد الكريم بن منصور التميمي السمعاني، الأنساب، تعليق عبد الرحمان بن يحي المعلمي اليماني أمين مكتبه الحرم المكي، ج 2، دائرة المعارف العثمانية، الهند، ط ، 1963م، 1383هـ ، ص 296 .

وائل من اليمامة إلى البحرين إلى سيف كاظمة إلى البحرين فأطراف سواد العراق فالأبله، فهيت[1] .

ج/ مولده:

ولد البكري في الأندلس ببلدة لطيش [2] غربي إشبيلية [3] ، إلا أن أحد الباحثين أشار إلى ولادته في قرطبة [4] ولعله اعتمد في ذلك على ابن الآبار(ت.658 هـ / 1273م)، حينما تعرض لسيرة البكريين، الذي أشار إلى ولادته في قرطبة، وليس في شلطيش، كما وذكر : (ابن عبد العزيز البكري فر هو وولده إلى قرطبة ، تخلصا من المعضد بن عباد وبطشه) [5] .

وشاع بين الباحثين المعاصرين، أنه ولد في سنة 432هـ /1047م، قيل أن سن البكري عندما توفي كانت السن العالية بالثمانين من العمر فأكثر، فإذا كانت ولادته سنة 432 هـ/1041م، ووفاته 487ه/1094م، فإن عمره سيكون 55 سنة، وهذا لا يتناسب مع السن العالية في المرجع، إذن إن ولادته كانت أقل مما ذكر وبحدود 393هـ/1016م تقريبا، و بما أن البكري كان مع ابن ملحم في مجلس ابن منظور، وأشار ابن خاقان إلى أن سنه كان قد بلغ سن ابن ملحم وهو في الثمانين من العمر. [6]

د/ **نشأته:**

نشأ البكري في أسرة ذات أصالة ونباهة وشرف ورئاسة، فقد شغلت أسرته العديد من المناصب المهمة في الأندلس، فقد تولى جده محمد بن أيوب في سنة 393هـ / 1013م

---

[1] - عمر رضا كحالة، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 8، 1418هـ/ 1998م، ص ص 93- 94.

[2] - بفتح أوله، وسكون ثانيه، وكسر الطاء، وأخر سين، بلدة بالأندلس صغيرة في غربي إشبيلية على البحر. انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3، دار الصادر، بيروت، 1397 هـ - 1977م، ص 359.

[3] - وهي مدينة كبيرة عظيمة، وليس بالأندلس أعظم منها، تسمى حمص أيضا وبها قاعدة ملك الأندلس وسريره وبها كان بنو عباد وهي على شاطئ نهر عظيم يقال له وادي الكبير، وهي قريبة من البحر يطل عليها جبل الشرف . انظر الحموي، نفسه، ج 1، ص195. أنظر أيضا القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر بيروت، ص 497 .

[4] - وهي مدينة عظيمة بالأندلس وسط بلادها، وبها كانت ملوك بني أمية ومعدن الفضلاء، ومنبع النبلاء من ذلك الصفح، بينها وبين البحر خمسة أميال، وهي من أعظم مدن الأندلس وليس لها في المغرب شبيه في كثرة الأهل وسعة الرقعة، ويقال أنها كإحدى جانبي بغداد، وهي حصينة بسور من حجارة ولها بابان مشرعان في نفس السور .أنظر الحموي، نفسه، ج3، ص 324 .

[5] - حسين صالح حسن الربيعي، أثر أبو عبيد البكري الأندلسي في الفكر العربي الإسلامي، مجلة الآداب، العدد 123، كلية الإمام الكاظم للعلوم الإسلامية الجامعة، بغداد العراق، 1439هـ-2017م، ص 215 .

[6] - الربيعي، أثر، ص 216.

منصب القضاء في ولبه[1]، ثم أصبح واليا على شلطيش، ثم يعود إلى ولبه واليا أيضا، وذلك في أيام الخليفة الأموي هشام المؤيد بالله ، وفي هذا المنصب حاول الاستقلال بحكم هذه الولاية فيصبح أميرا بعد أن كان واليا فقط، هذا مجرد سقوط الدولة الأموية، وبداية فترة الاضطرابات التي رأتها البلاد الأندلسية عموما خلال تلك الفترة المضطربة والانتقالية، والتي يشير إليها المؤرخون بفترة ملوك الطوائف وقد نجح في ذلك [2].

انتقل إلى قرطبة عام 443هـ / 1058 م، لإتمام دراسته على يد أشهر علماء عصره، كالقرطبي (ت. 463هـ /1078 م) وابن حيان (ت. 469 هـ /1084م) والعذري (ت. 473 هـ /1088م)، ثم صار إلى المرية[3]، فاصطفاه صاحبها محمد بن معن لصحبته، ووسع راتبه ومرتبته[4]، وكان برفقة والده عبد العزيز الذي كان من الحكام السابقين[5].

لم تكن حياة البكري بالمرية مضطربة حسب الظاهر، بحيث ذهب سنة 478هـ /1085م – 1086م إلى إشبيلية موفدا من قبل محمد بن معن لدى المعتضد بن عباد[6]، حين تنقله للمغرب الأقصى وطلب العون من المرابطين ضد التهديد النصراني، ثم رجع مرة ثانية إلى قرطبة التي أصبحت عاصمة الأندلس في عصر المرابطين، حيث قضى بقية حياته بها بين الدراسة والحياة العامة مع أصدقائه [7] .

ه/ وفاته :

توفي البكري في شوال سنة 487هـ /1094م [8] ، ودفن بمقبرة أم سلامة بقرطبة [9]، بعد أن عمر ما يقارب الثمانين عاما [10].

---

[1] - مدينة بالأندلس قرب إشبيلية، كثيرة الحيوانات فائضة البركات بها آثار قديمة بها نهر لهشر. انظر الحموي، المصدر السابق، ص 555.

[2] - مريم أيوبي، فاطمة الجيلالي، السودان الغربي في كتابات الرحالة العرب المسلمين أبو عبيد الله البكري (ق 5 هـ / 11 م)، مذكرة مكملة لنيل متطلبات شهادة الماستر في التاريخ، جامعة أدرار، 2009-2020 م، ص 24.

[3] - بالفتح ثم الكسر، وتشديد الياء بنقطتين من تحتها، وهي مدينة كبيرة من كورة إلبيرة من أعمال الأندلس، كانت هي وبتجانة بابي الشرق منها يركب التجار، يضرب ماء البحر سورها، دخلها الإفرنج، من البر والبحر في سنة 542هـ ثم استرجعها المسلمون سنة 552 هـ أنظر الحموي، نفسه، ج 5، ص 119.

[4] - الحموي، نفسه، ص1534.

[5] - الربيعي، أثر، ص 215.

[6] - المعتضد بن عباد: (404هـ -461هـ /1013م -1069م) عباد بن محمد بن اسماعيل، ابن عباد اللخمي ،أبو عمرو،الملقب بالمعتضد بالله، صاحب اشبيلية، في عهد ملوك الطوائف. انظر خير الدين الزركلي، ج3، الأعلام، دار العلم للملايين، لبنان بيروت، ط 7، 1986م، ص 257.

[7] - أيوبي، الجيلالي، المرجع السابق، ص 25 .

[8] - الحموي، المصدر السابق، ج1، ص 1536.

[9] - أبو عبيد الله البكري، المسالك والممالك، تح أدريان فان ليوفن و أندري فيري، الدار العربية للكتاب، تونس، 1992م، ص 11.

[10] - الربيعي، أثر، ص217.

2- حياته العلمية:

زاول البكري تعلمه في قرطبة، فأخذ العلم عن أشهر علماء عصره، وفي عام 456 هـ /1064 م التحق بخدمة محمد بن معن أمير المرية، ولقي لديه الحظوة والاحترام كعالم وجغرافي متميز [1]، حيث إن حياة البكري العلمية كانت حياة مستقرة ظاهريا بالمرية، مما استطاع أن يفتح له المجال لتفرغ لمتابعة دروسه والمضي لكسب العلم والمعرفة في شتى المجالات بداية بالمجال الأدبي[2].

لم يختص البكري في أي فرع من فروع المعرفة، شأنه في ذلك شأن جل العلماء المسلمين في القرون الوسطى [3] فالبكري لغوي وأديب قبل كل شيء أخر، رغم أنه اشتهر بصفته جغرافيا في المشرق والمغرب، ويكفي للتفطن إلى ذلك أن يستعرض القارئ عناوين الكتب التي تنسب إليه، فالأدب له دور كبير في أكبر أثاره الجغرافية[4] .

أ/ شيوخه:

ابن عبد البر:[5] هو ابن عمر يوسف ابن عبد البر القرطبي الشافعي ألنمري (ت.463 هـ/1078م) من رواة الحديث له العديد من المؤلفات منها " جامع بيان العلم والاستذكار، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، وأعطى إجازة لأبي عبيد البكري .[6]

ابن حيان:[7] هو حيان بن خلف بن حسين ابن حيان (ت.469 هـ / 1084 م)، مؤرخ من أهل قرطبة كان صاحب لواء التاريخ في الأندلس أفصح الناس بالتكلم فيه وأحسنهم تنسيقا له، وألف عدة مؤلفات منها: "المقتبس في تاريخ الأندلس" و" المبين في تاريخ الأندلس"، وهو من شيوخ البكري حيث كان يثني عليه كثيرا، وجباه منزلة عالية، ومكانة كبيرة، وذكره في شعره قائلا :

فتى بذ الأقران جمالا وبهاء وسرورا وأدبا ومعرفة [8].

أبو العباس العذري: (ت.478هـ / 1093م) هو أحمد بن عمر بن أنس بن دلهاث بن أنس بن فلذان بن عمر بن منيب الدلايائي، ولد في بلدة دلاية وعاش في مدينة المرية [1].

---

[1] - زبادية، المرجع السابق، ص 145 .

[2] - أيوبي، الجيلالي، نفسه، ص 26 .

[3] -البكري، المسالك، ص 11 .

[4] - نفسه، ص 12.

[5] - أيوبي و الجيلالي، المرجع السابق، ص 26 .

[6] - الربيعي، أثر، ص 217، ص 218.

[7] - أيوبي، نفسه، ص26 .

[8] -الربيعي، أثر، ص 218، انظر ابن الآبار، الحلة السيراء، تح حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1985 م، ج2، ص 182.

المصحفي: هو أبو بكر محمد بن هشام (ت. 481هـ/ 1088م)، وهو من أهل قرطبة وله معرفة كثيرة وواسعة في الحديث والأخلاق ومثابرا في المطالعة وهو مؤرخ وجغرافي فقيه وله دور كبير قي تكوين شخصية البكري التاريخية و العلمية .[2]

الجذامي: حكم بن محمد بن حكم (ت. 449هـ/1062م)، وهو من أهل قرطبة يكنى (أبا العاص) وكان رجلا صالحا ثقة طيب الطعمة، متين الديانة .[3]

ب/ تلاميذه:

تعلم على يده العديد من العلماء والمؤرخين منهم:

- عبد الجبار بن عبد الله بن أحمد بن أصبغ القرشي (ت 516 هـ/ 1131م)
- سعيد بن أحمد بن سعيد بن عبد البر (ت 520هـ / 1135م)
- محمد بن معمر اللغوي المالقي كان حيا سنة (524 هـ /1139 م)
- محمد بن عبد الملك بن عبد العزيز اللخمي (ت 536 هـ/ / 1151 م)
- محمد بن حكم بن أحمد بن باق (ت 538هـ / 1153 م)
- القرشي محمد بن محمد بن عبد الرحمان (ت 542 هـ/ 1157 م)
- محمد بن حكم بن محمد بن أحمد الجذامي (ت 538هـ / 1143 م)[4]

ج/ مؤلفاته

إن لمؤلفات أبي عبيد الله البكري دورا هاما في تحديد ملامح الفكر الإسلامي، والتي أعطت مساحة واسعة للعلماء المسلمين في التطور الفكري من خلال تتبع سير الأنبياء ، والرسل ، والمصلحين في المجتمعات الإسلامية وغير الإسلامية، التي بينت القوانين الوضعية التي طبقتها المجتمعات مؤكدا على الجانب الاجتماعي للأجناس ومعرفة البلدان التي استقر بها العلماء المفكرون والرحالة في نقل الحضارة الإسلامية ، كما بين ذلك كتابه المسالك والممالك[5]، لكن الكثير من تآليفه ضاعت ولا نعرف منها إلا العناوين ، ونكتفي بذكر عناوينها[6]:

- كتاب الإحصاء لطبقات الشعراء .
- كتاب اشتقاق الأسماء.
- التنبيه على أغلاط أبي علي في أماليه .

---

[1] - الربيعي، أثر، ص182.

[2] - نفسه، ص182.

[3] - نفسه، ص182.

[4] - الربيعي، أثر، ص ص 218- 219 .

[5]- نفسه، ص 222.

[6] - البكري، المسالك ، ص 12 .

- شفاء عليل العربية.
- كتاب صلة المفصول في شرح أبيات الغريب المصنف لأبي عبيد القاسم بن سلام.
- فصل المقال في شرح كتاب الأمثال لابن سلام أيضا .
- اللآلي في شرح أماني القالي[1].
- معجم ما استعجم[2] .
- كتاب المسالك والممالك[3] .
- أعلام نبوة نبينا محمد .
- التدريب والتهذيب في دروب أحوال الحروب .
- كتاب النبات .[4]

هذه الآثار التي خلفها البكري في مؤلفاته ، اقتفى أثرها وسار على نهجها أغلب المؤرخين والباحثين، في تحقيق نصوصهم التاريخية ، وتعد من الأمور الهامة في التدوين التاريخي ، للاستفادة منها في كتابة التاريخ الإسلامي .

3- عصر البكري :

أ/ سياسيا واجتماعيا:

مع بداية القرن الخامس الهجري عمت الفوضى ربوع الأندلس ، وقام أكثر من شخص يدعو لنفسه بالخلافة ،ثم ظهر ملوك الطوائف، وفي هذا العهد ، عهد التمزق والانحلال كانت الأندلس مهددة بالفناء من قبل أعدائها المتربصين بها من النصارى وقد سقطت بالفعل بعض القلاع الحصينة والمعاقل الهامة مثل طليطلة[5] التي سقطت عام 478هـ/1093م،بعد حصار استمر سبع سنوات ، وكان سقوطها نذير شر بالنسبة للأندلسيين[6] .

في هذه الظروف المأساوية ولد البكري، فعاش حياة قاسية مبكية، فشهدت الأندلس صراعا دمويا أعمى على السلطة وقد كانت الحقبة الزمنية التي عاشها البكري متزامنة مع كل من :

---

[1] - البكري، المسالك، ص 12.

[2] -زبادية، المرجع السابق، ص 146.

[3] - نفسه، ص146.

[4] - نفسه،ص146.

[5] - مدينة كبيرة بالأندلس، من أجل مدنها قدرا وأكثرها خيرا تسمى مدينة الملوك ، ... كانت بيد المسلمين إلى أن استولى عليها الفرنج في شهور سنة 477 هـ، وإلى الآن بيدهم . أنظر القزويني، المصدر السابق، ص ص 545- 547.

[6] - حسين صالح حسن الربيعي، الفكر التاريخي عند البكري في كتاب المسالك والممالك، أطروحة دكتوراه مقدمة لنيل دكتوراه الفلسفة في التاريخ الإسلامي،كلية الآداب قسم التاريخ،جامعة النيلين،السودان، 1439هـ / 2018م، ص 20.

1. بني عباد (414هـ- 484 هـ)في اشبيلية .

2. بني جهور (422هـ- 449هـ)في قرطبة .

3.بني زيري (403هـ-487 هـ)في غرناطة[1] .

4.بنو الأفطس (413هـ- 487هـ)في بطليوس[2] .

وبعد فتنة سنة 403هـ/1012مـ، التي حصلت قبل زمن ملوك الطوائف، وكان للمعتضد بن عباد أطماعا في تأسيس مملكة مترامية الأطراف، على حساب جيرانه البربر في غرب الأندلس، وظهر في الأندلس أربع إمارات نشأت في أعقاب انهيار الخلافة الأموية، (لبلة تغلب عليها أبو العباس ، أحمد بن يحي اليحصبي 433هـ/1041م، المعروف باللبلي و جزيرة شلطيش وولبة أين تغلب عليها أبو زيد عبد العزيز البكري (جد أبي عبيد البكري)، و شنتمرية الغرب تغلب عليها أبو عبد الله محمد بن سعيد بن هارون، فقام المعتضد بالهجوم عليهم واستسلموا للمعتضد، فأما أبو زيد عبد العزيز البكري فعقد سلاما مع المعتضد، أدى له جزية سنوية، آمن من خلالها هجوم المعتضد عليه، وقام المعتضد بالهجوم على لبلة وسيطر عليها سنة 445هـ/ 1053م، فاضطر صاحبها إلى الهروب[3] .

وفي الوقت الذي اشتدت فيه شوكة المعتضد، وأخذ يغير على الإمارات القريبة، فقد تدهورت العلاقة بين أبي مصعب و المعتضد إلى الحد الذي جعل هذا الأخير يأمر بمحاصرة عبد العزيز البكري، ومنع الناس من الدخول عليه مما دفع بأبي مصعب إلى تسليم إمارته وحمل أمواله والفرار مع ولده البكري إلى قرطبة سيرا من شلطيش، وبذلك انتهت إمارة البكريين، التي دامت نحو أربعين سنة، بتغلب المعتضد بن عباد صاحب اشبيلية سنة 443هـ/ 1048م إلى ما جاوره من البلاد والإمارات الصغيرة، فلما استقر البكري في اشبيلية أحب العيش في كنف المعتضد، ولم يتقلد أبو عبيد في اشبيلية منصب أو وظيفة، بل كان من أصحاب المعتضد ، الذين يحضرون مجلسه ،وفي مثل هذا الجو عاش أبو عبيد البكري فزهد في السياسة وانصرف إلى العلم ورغب عن المناصب،واهتم بالتأليف والإنتاج العلمي وانتقل إلى (المرية)، ذاع صيته بالعلم في قرطبة ،وتجول في مدن مختلفة من الأندلس، وأقام في عدد من حواضرها، وقد مكنه ذلك الالتفاف بعلمائها الأفاضل[4]، وقضى البكري هناك فترة لم نستطع تحديدها، ولكن المعروف أنه لم يغادرها إلا بعد أن أتم دراسته فيها، وكانت هذه

[1]- مدينة بالأندلس قديمة بقرب البيرة، من أحسن مدن بلاد الأندلس و أحصنها، ومعناها الرمانة بلغة الأندلسيين.أنظر القزويني، نفسه، ص ص545-547.

[2] - مدينة كبيرة بالأندلس من أعمال ماردة على نهر آنة غربي قرطبة .أنظر الحموي، المصدر السابق، ج 1، ص 447.

[3] - الربيعي، الفكر، ص ص 20-21.

[4] - ابن الآبار، المصدر السابق، ص 181.أنظر أيضا الربيعي، الفكر، ص21.

المدينة مستقلة في ذلك الوقت يحكمها طبقة من الأعيان بزعامة أسرة بني جهور، وقد فتحت ذراعيها لجميع الأمراء الذين اضطروا إلى الفرار، إذ كانت دولة بني جهور حريصة على أن تظل قرطبة زاهرة بهم كما سلف في عهد بني أمية، وهناك نشأ البكري والتقى بابن حزم (ت. 45هـ/1071م) وابن حيان، (ت. 469هـ/1084م)، وعندما توفي والده سنة 456هـ/ 1071م انتقل إلى المرية كما ذكر سابقا [1].

في عام 478 هـ / 1085م – 1086م نجد البكري يبحر إلى مراكش ممثلا لأمير المرية، وذلك ضمن ذلك الوفد الذي ترأسه أمير اشبيلية، وذهب به إلى الأمير يوسف بن تاشفين في مراكش راجيا منه العون العسكري للوقوف وجه نصارى قشتالة، الذين تعاظم خطرهم على الوجود الإسلامي في الأندلس[2] .

كانت حياة البكري حياة عالم، وزع وقته بين ضروريات حياة عصره الشديدة، والاضطراب الذي واكبها وبين الدراسة، ثم عاد إلى قرطبة مرة ثانية، على إثر هزيمة ابن عباد على أيدي المرابطين سنة (447هـ/1055م)، وظل يمارس نشاطه الأدبي فيها [3]، حيث قضى بقية حياته بها وتوفي ودفن بها [4].

ب/ثقافيا:

كان لملوك الطوائف دورا كبيرا في تشجيع العلم والاهتمام بالعلماء ، إلى حد أنهم تنافسوا في جذب العلماء و الفقهاء نحو ممالكهم، حتى صارت قصورهم منتديات عامرة، ومجامع للعلوم والآداب[5] حيث ذكر المقري في كتابه أنه يقول الشقندي عندما تحدث عن الأندلس، وفضل أهلها في مجالات العلم والمعرفة ذاكرا ملوك الطوائف :<< ولما ثار انتشار هذا النظام ملوك الطوائف وتفرقوا في والمعرفة ذاكرا البلاد كان في تفرقهم اجتماع على النعم لفضلاء العباد، إذ نفقوا سوق العلوم،وتباروا في مثوبة على المنثور والمنظوم، فما كان أعظم مباهاتهم إلا قول العالم الفلاني عند الملك الفلاني، والشاعر الفلاني مختص بالملك الفلاني، وليس بينهم إلا من بذل في وسعه المكارم >> [6].ويذكر ابن بسام أنه حينما قدم

---

[1] -الربيعي، الفكر، ص ص 21 – 22 .

[2]- زبادية، المرجع السابق ، ص146.

[3] - الربيعي، الفكر، ص 22.

[4]- أيوبي والجيلالي، المرجع السابق ، ص 25 .

[5]- المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح احسان عباس ، دار صادر، بيروت 1408هـ- 1988م ، ج1 ، ص 215.

[6] - المقري، نفسه، ج3، ص190.

الأديب علي بن عبد الغني الحصري إلى الأندلس: << فتهادته ملوك الطوائف تهادي الرياض للنسيم وتنافسوا فيه تنافس الديار في الأندلس المقيم >>[1].

لذا فإن جو التنافس هذا شجع أصحاب المواهب والطموح، على التنافس والإبداع والابتكار مما وسع من أفق الحركة العلمية والأدبية في الأندلس، كما أن ملوك الطوائف في حد ذاتهم كانوا علماء بحق يشار إليهم بالبنان[2] .

ومن المرجح أن سر اهتمام ملوك الطوائف بالعلوم يعود إلى أمرين:

أولهما شعورهم بعدم شرعية أنظمة حكمهم، وانعدام الوحدة بينهم، ما أدى بهم إلى توجيه الاهتمام بالنواحي العلمية وملئ مجالسهم بالعلماء، لإعطاء أنظمتهم صبغة الشرعية أمام العامة، فحرصوا على جذب الشعراء للهجاء، وفي محاولة منهم لتحصيل المجد والشهرة المزيفين.

وثانيهما أن كثيرا من ملوك الطوائف اشتهروا على أنهم طلاب علم، ونذكر منهم على سبيل المثال: المظفر بن الأفطس الذي أشتهر بين المؤرخين بالأدب والتصنيف فيه [3].

هذا ما أدى إلى ظهور العديد من العلماء و المؤرخين، في مختلف المجالات منهم أبو عبيد الله البكري، الذي وجد ضالته في بلاط المعتصم بالمرية، وكان فقيها جغرافيا، شاعرا، لغويا ، وإخباريا متفننا امتاز على أهل عصره بثقافته اللغوية العالية [4].

ثانيا: دراسة ظاهرية وتعريف بالمصنف.

دراسة ظاهرية للمصنف:

اسم المؤلف: أبي عبيد الله البكري

اسم الكتاب: المغرب في ذكر إفريقية والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك

عدد الأجزاء: جزءان

اسم المحقق: أدريان فان ليوفن و أندري فيري

عدد الطبعة: طبعة كاملة

دار النشر: دار الغرب الإسلامي

بلد النشر: لبنان - بيروت

سنة النشر: 1992 م

---

[1] - ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ق 4، مج 1، دار الثقافة، بيروت، ط، 1399هـ/1979م، ص 146 .

[2] - سالمي نصيرة وآخرون، عصر ملوك الطوائف في الأندلس بين الانحطاط السياسي والازدهار العلمي(422-503هـ/1031-1110م)، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر تخصص القرون الوسطى، قسم التاريخ، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2014-2015 م ، ص 80.

[3] - نفسه، ص 80،ص 81.

[4] - نفسه، ص 96.

حجم الكتاب: الجزءان معا 1036 صفحة، الجزء الثاني 242 صفحة.
حجم الكتاب PDF: 23.51 ميجا بايت .

1- محتوى المصنف:

أ/ تعريف المصنف:

ساهم كتاب المسالك والممالك الذي ألفه البكري، سنة 460هـ- 1068 م بشكل كبير في شهرته [1]، ويعد كتابا تاريخيا مهم جامع لعدد كبير من الكتب المؤلفة قبله في هذا المجال أو في ما كتبه عن بلاد إفريقيا والمغرب، وما تعاقب عنها من أحداث حتى منتصف القرن الخامس هجري/والحادي عشر ميلادي، وأن مادته كانت من أشمل التواريخ التي كتبت عن المنطقة وخاصة ما يتعلق بالجوانب الاقتصادية وتكلم فيه عن البلدان و الممالك، فعرض عادات الشعوب، وذكر القصص التاريخية والغرائب والعجائب، رافضا منها ما يتعارض مع العقل، وأيضا هو يعطي البعد المكاني للمنطقة بعد رسم الوصف الجغرافي لها، كما يركز البكري على النواحي المتعلقة بالمدن، فكانت مادته تتسم بالشرح والوصف الدقيق[2]، فكتابه لا يدور حول موضوع واحد[3] فهو موسوعة تشمل مختلف العلوم والفنون، فتوالى فيه وصف المسالك والبلدان والشعوب والمدن[4] .

كان لكتاب المغرب أهمية كبيرة حيث ركز البكري في تقديم مادته العلمية، على ذكره للمدن والمراسي، مع وصفها وصفا دقيقا، مع معلومات عن تاريخها وبناءها، وسكانها وآثارها كما تطرق إلى ضبط المسالك، وقياس المسافات، وذكر المحطات والحصون، ذكره إلى مصادر المياه بالنسبة لشرب السكان ، مع التركيز على الأنهار والمحيطات ، كما ذكر الزراعات ، والصناعات والمعادن، كما قام بوصف أحوال المعاش لدى سكان المدن والقرى فالبكري كان جغرافيا ، بحيث أنه يصف لنا المنطقة التي يتعرض لها من كامل الجوانب الحضارية، الدينية، الاقتصادية والاجتماعية فقد كان دقيقا في وصف روايته[5].

يذكر البكري في كتابه الطرق، كالطريق من البصرة إلى مكة ، ويذكر أيضا البيت الحرام وبنائه المشهور من أخباره، وكيفية هدم الحجاج للكعبة، مما زاد أهمية الكتاب فصار موردا مهما للباحثين في مجال التاريخ والجغرافية كونه يتناول الأحداث التاريخية، والمواقع

[1] - صبرينة بولغمال، انتشار الإسلام في السودان الغربي من خلال كتاب البكري (القرن 5 ه /11 م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر تخصص دراسات إفريقية، جامعة الجيلالي بونعمامة، خميس مليانة الجزائر،2018م، ص 11.

[2] - أزمان عبيد وناس وهنادي مهدي كريم ،منهج البكري في كتاب المغرب في ذكر إفريقية والمغرب، مجلة الباحث، العدد 8، قسم التاريخ جامعة كربلاء، 2013م، ص 2.

[3] - الربيعي، الفكر، ص49.

[4] - البكري، المسالك، ص 13.

[5] - بولغمال، المرجع السابق، ص 16.

الجغرافية لها ، مما أعطاه طابعا متميزا ، يجعل الباحث متشوق للخوض في غمار الأحداث والمرويات التاريخية.[1]

ب/ أقسام الكتاب:

يشمل كتاب المسالك والممالك على قسمين متقاربي الحجم :

القسم الأول : يبدأ البكري كتابه بمقدمة عامة تاريخية، تدور حول مبدأ الخلق[2]، ويعرض بتاريخ الأنبياء إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، ويحتوي الفصل الموالي بالمعتقدات الدينية ، وأوهام القدماء العرب يليه وصف أهم الهياكل الدينية الموجودة ، التي وجدت عند أمم مختلفة ،ويبدأ القسم الجغرافي الحقيقي بفصول عديدة في الجغرافية العامة : الأراضي ، البحار ، الأنهار[3] ،الأقاليم السبعة . بحيث أن التدرج العام ينطلق من المشرق إلى المغرب ، ويبدأ بالهند فالصين والترك ، ثم ينتقل إلى الشام ويخصص للفرس قسما كبير مقسم إلى قسمين[4] .

أما القسم الثاني فيبدأه بوصف حائط يأجوج ومأجوج ورحلة السلام الترجمان ، ثم يرجع المؤلف إلى الشرق الأوسط ويقدم لنا معلومات عن العواصم ...ثم يتحدث عن فلسطين وتتواصل الرحلة إلى بلاد الروم مدينة روما وجزر البحر الأبيض، وكذا بعض جهات جنوب شرقي أوربا [5]، وينتهي هذا القسم بوصف بلاد الروس[6] .

---

[1] - الربيعي، الفكر، ص 49.

[2] - ساجد مخلف حسن، البكري حياته ومنهجه في كتابه المسالك والممالك، مج7 ، العدد 27 ، تشرين الأول 2011 م، ص 206.

[3] - بولغمال، المرجع السابق، ص215 .

[4] - البكري، المسالك، ص ص 13- 14.

[5] - نفسه، ص14.

[6] - أيوبي والجيلالي، المرجع السابق، ص 28 .

2-منهج ومصادر المصنف:

أ/منهج المصنف:

اتسم منهج البكري بالدقة والموضوعية، فقد حرص على ذكره للأخبار بشكل متسلسل وواضح، فقد عرضها علينا بشكل سهل ومبسط، لكي يفهمها القارئ، فقد كان له أسلوب خاص يميزه عن غيره وعليه فقد تميز بمقدرة لغوية وأدبية وشعرية وجغرافية وتاريخية .

أ/ ذكر البكري للآيات القرآنية :

استشهد البكري في المغرب[1] بآيتين من آيات القرآن الكريم أولهما في فتح إفريقية، حيث يشير إلى قوله تعالى:(انفروا خفافا وثقالا، وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذالكم خير لكم إن كنتهم تعلمون)[2]، والآية الثانية ذكرها في سياق كلامه عند عبد الله بن ياسين[3] :" أن رجلا اختصم إليه مع تاجر غريب عندهم فقال التاجر في بعض مراجعته لخصمه حاشى لله أن يكون ذلك فأمر عبد الله بضربه وقال لقد قال كلاما فضيعا وقولا شنيعا يوجب أشد الأدب ،أي ذكر ما شد به عبد الله بن ياسين من أحكام وكان بالحضرة رجلا قيروانيا، فقال عبد الله وما تنكر من مقالاته؟"[4] والله عز وجل قد ذكر ذلك، في كتابه وقال في سورة يوسف، في قصة النساء اللاتي قطن أيديهم وقالوا : (ما هذا بشر إن هذا إلا ملك كريم)[5] .

ب/ ذكره للأحاديث النبوية:

كان البكري مقلا في ذكره للأحاديث النبوية وقد ذكر بعضها في فضل إفريقية[6]، ونادرا ما يشير إلى اسم الراوي المباشر، الذي نقل عنها الحديث ، وكان يستعمل عبارة "روى جماعة " أو عن فلان ثم يورد سلسلة الإسناد التي ستنتهي عن سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ويورد لنا مجموعة من الأحاديث عن ذكره لبعض المدن أو القرى في المغرب[7]، فعندما يذكر قرية " جب "يذكره <<بقرية جب خرب: " قال محمد أخبر بعض الاسكندرانين أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال من كثرت ذنوبه فليلقي لوبيا وراء ظهره " والحديث الثاني في فتح المغرب يذكره البكري: (قال حنش بن عبد الله الصنعان غزونا من رويفع بن ثابت الأنصاري فافتتح قرية ... قام فيه خطيبا فقال أيها الناس لا أقول فيكم إلا ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فينا يوم خبير فقام فينا رسول الله صلى الله عليه

---

[1]- أزمان وهنادي، المرجع السابق، ص308.

[2] - انفروا خفافا وثقالا. وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذالكم خير لكم إن كنتهم تعلمون، سورة التوبة، الآية 41.

[3] - بولغمال، المرجع السابق، ص14.

[4] - البكري، المسالك، ص 170.

[5] - ما هذا بشر إن هذا إلا ملك كريم، سورة يوسف، الآية 31.

[6] - أزمان، نفسه، ص308.

[7] - نفسه، ص14.

وسلم وقال لا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الأخر أن يسقي ما زرع غيره يعني إتيان الحبالى من السبي)[1].

وحينما قتل قابيل هابيل، أورد الحديث النبوي الشريف عن ابن عباس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما من نفس تقتل ظلما إلا كان على ابن أدم كفل منها، لأنه أول من سن القتل)[2] وأورد حديث النبي صلى الله عليه وسلم يصف فيها ماء زمزم، وقال : (ماء زمزم لما شرب له)[3]، وذكر البكري في كتابه المسالك والممالك شعاب مكة ومنه شعب أجياد وأورد حديث النبي صلى الله عليه وسلم، وقال : (بئس الشعب أحياد تخرج منه الدابة)[4].

وأورد حديث النبي صلى الله عليه وسلم عندما افتتح مدينة **جربة**[5](لا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسقي ما زرع غيره) وأورد حديث النبي صلى الله عليه وسلم رواه أبو المهاجر عن شهرين حوثب حول سكن الناس في مدينة تهودة، وقال: (إن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن سكنى هذه البقعة الملعونة يقال لها تهودة) [6].

ج/ ذكره للشعر في رواياته :

ذكر البكري مئة وسبعة عشر بيتا من الشعر، وهي تخص بلاد المغرب في نظمها إذ تصف مدن بلاد المغرب و نواحيها وأناسها[7] ، فكان البكري كثير الاستشهاد بالشعر في أخباره وهو بذلك يسير على خطى المؤرخين الأوائل والمعاصرين له[8] ،ويعقب روزنثال على ذلك بقوله : (إنه يندر أن ترى كتاب تاريخ خاليا تماما من الاقتباسات الشعرية)[9]، لأنه كثيرا ما يختلط بالتاريخ في آداب الأمم المختلفة وكذلك التاريخ كثيرا ما يمتزج بالشعر، فالتاريخ ليس لونا من ألوان الأدب فحسب بل هو وثيق العلاقة بأسمى ضروب الأدب، وهو

---

[1] - أزمان وهنادي، المرجع السابق، ص308.

[2] - البكري، المسالك، ص311.

[3] - نفسه، ص 311.

[4] - مخلف حسن، المرجع السابق، ص83.

[5] - الجرباء كأنه تأنيث الأجرب، موضع من أعمال عمان بالبلقاء بأرض الشام قرب جبال السوراة من ناحية الحجاز، وهي قرية من أضرح، انظر الحموي، المصدر السابق،ج 2، ص 118.

[6] - مخلف حسن، نفسه، ص83.

[7] -أزمان وهنادي، المرجع السابق، ص309.

[8] - نفسه، ص 84.

[9] - روزنثال فرنتز، علم التاريخ عند المسلمين ، تر الدكتور صالح محمد العلي، مؤسسة الرسالة، ط2، بيروت، 1403هـ /1983م، ص 97.

الشعر[1]، وقد يكون ذلك لتوثيق الحدث، بعد أن أصبح الشعر قاعدة في الأسلوب لم يفكر في مناقشتها[2] أو توضيحها أو جعلها نابضة بالحياة وأكثر حيوية[3] .

وكذلك للتأثير على نفس القارئ وكسب عواطفه و أحاسيسه، فكان ذلك نتيجة طبيعية لمؤرخ تميز بسعة إطلاعه على الأدب و اللغة والشعر، بأن يحيي أبحاثه التاريخية، بكثير من القصائد والأبيات الشعرية .

ومن أهم الأبيات الشعرية، قال البكري هجاء لأهل السرت يصف فيها سوء معاناة المعاملات التجارية :

عبيد ش النوايا معاملة وأقبحهم فعلا

فلا رحم المهيمنين أهل سرت[4] ولا سقاعهم عذبا زلالا [5]

استشهد البكري بأبيات من الشعر لما منع الأمير أبا هيم بن أحمد بن أغلب من منع بيع النبيذ في مدينته القيروان وأباحه في مدينة رقادة فقال:

يا سيد الناس وابن سيدهم ومن إليهم الرقاب منقادة

ما حرم الشرب في مدينتنا وهو الحلال بأرض رقادة [6]

وذكر أبيات من الشعر نسبها إلى آدم عليه السلام، حينما جزع وأسف على مقتل هابيل ومما قاله:

تغيرت البلاد ومن عليها فوجه الأرض مغبر قبيح

قتل قابيل هابيل أخاه فوا أسفى على الوجه المليح[7].

ب/ مصادر المصنف :

تنوعت مصادر البكري، في كتابه هذا بين الروايات الشفوية، وكتب ومدونات من مختلف الأقطار منها مشرقية وأخرى مغاربية، حيث ركز على الكتب التاريخية والجغرافية بالتحديد، بحيث استشهد البكري بالقرآن الكريم، و أيضا ذكر الأحاديث النبوية، وشمل كتابه

[1] - علي أدهم، بعض مؤرخي الإسلام، مكتبة نهضة، مصر، 2012م، ص ص 151- 152.

[2] - روزنثال، نفسه، ص97.

[3] - مرغوليوث، دراسات عن المؤرخين العرب، تر حسين نصار، دار الثقافة، بيروت، 1969 م، ص 73.

[4] - مدينة في برقة بينها وبين طرابلس مائة وثلاثون ميلا، بينها وبين البحر ميلان. انظر إلى الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، مكتبة لبنان، ساحة رياض الصلح بيروت، ص312.

[5] - بولغمال، المرجع السابق، ص 16.

[6] - بلد بإفريقية بينها وبين القيروان أربع أميال ذات بساتين. أنظر أبو عبد الله الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1422ه- 2002م، ص ص 78- 80 .

[7] - البكري، المسالك، ص 23 .

أيضا على ذكر الأمثال من المدن والقرى[1]، كذلك استعمل البكري الأبيات الشعرية، في كتابه حيث يصف بها مدن بلاد المغرب، ومثال ذلك قال الشاعر: (لعمرك ما ألفيت تونس كاسمها ولكن ألفيتها وهي توحش) [2]،فالبكري كان وثيق الصلة بمعاصريه من المؤرخين والمحدثين والأدباء أمثال ابن حيان وأحمد بن عمر العذري وغيرهم، ولم يكتب البكري كتابه هذا وصفا لرحلة قام بها، أو مشاهدات اطلع عليها فهو لم يزر المغرب أبدا، بل اعتمد غالبا على المعلومات التي وصلت إليه والمعلومات التي حصل عليها في الأندلس، لذا فقد جاء وصفه للمغرب وصفا دقيقا عظيم الفائدة، فتعددت موارد البكري فشملت الروايات الشفوية، والكتب المدونة البيانات الرسمية فضلا عن شهود العيان من الرحالة والتجار، الذين زاروا المناطق ووصفوها، وموارد مشرقية ومغربية[3].

أ/ الروايات الشفوية:

هناك الكثير من الروايات، التي أوردها معتمدا على سماعه من أشخاص أو جماعات، ولكنه نادرا ما يشير إلى اسم الراوي المباشر، الذي إليه الخبر، ويكتفي بكلمة "قال" أو " يذكر" أو " زعموا " أو " وحدثوا أن "[4].

ب/الكتب المدونة:

ـ الأصول المشرقية:

* كتاب فتوح مصر وأخباره لابن عبد الحكم، فالبكري اعتمد في الروايات التاريخية التي أوردها عن فتح شمال إفريقيا على ابن الحكم في بعض النصوص في قوله " قال عبد الحكم". [5]

* كتاب الإخبار لعلي ابن محمد بن سليمان النوفلي، ويأخذ البكري عن شخص أخر يسميه النوفلي ويشير إليه بقوله :" وذكر أبو الحسن بن سليمان النوفلي عنه إخبارا عن ظهور الأدارسة في المغرب والأحداث التي مرت بها".[6]

ـ الأصول المغربية:

* مؤلفات محمد بن يوسف الوراق، تشكل مؤلفات هذا الجغرافي القيرواني أحد الأصول الفريدة التي اعتمدها البكري في مسالكه وفي الإشارة إلى بعض المدن، واهتم البكري بشكل

[1] ـ أيوبي والجيلالي، المرجع السابق، ص29 .
[2] ـ زمان عبيد وناس، المرجع السابق، ص308.
[3] ـ نفسه، ص308.
[4] ـ حسين مؤنس، تاريخ الجغرافيا والجغرافيين في الأندلس، مكتبة مدبولي، ط2، 1986م، ص142.
[5] ـ مؤنس، المرجع السابق، ص 23.
[6] ـ البكري، المسالك، ص21.

خاص برواية الوراق عن مدن شمال إفريقيا، وأورد معلومات تاريخية قيمة نسبها له، وقد اعتمد عليه البكري في حديثه عن مدن المغرب الأوسط وخاصة تاهرت[1]، ومدن المغرب الأقصى، ويلاحظ على النصوص التي نقلها البكري غن الوراق، أنها تتصف بدقة المعلومات والوضوح والتبسيط[2] .

* كتاب مغازي إفريقية لأبي جعفر أحمد بن إبراهيم المتطبب القيرواني المعروف بابن الجزار (ت. 369هـ /980م) اهتم ابن الجزار إلى جانب ممارسته للطب بالمسائل التاريخية، وألف فيها كتبا مختلفة، منها مغازي إفريقية أو التعريف في أخبار إفريقية[3] .

* كتاب طبقات علماء إفريقية وتونس لأبي العرب القيرواني ولم يشر البكري في بعض الأحيان إلى اسم أبي الغرب في نصوصه التي يأخذها عنه لكنه أوردها بنفس سلسلة الإسناد التي عند أبي العرب فيقول: " روى ابن أبي العرب ، قال:. ." .

* كتاب تاريخ إفريقية وحروبها لعبد الله بن أبي الحسان اليحصبي ينسب البكري لابن أبي حسان نصار واحدا يتعلق بتحرير موسى بن نصير98ه /716م المنطقة سقوما على مقربة من فاس وكتابه إلى الوليد بن عبد الملك 86-96 هـ.

* كتاب فتوح افريقية لعيسى بن محمد بن سليمان بن أبي المهاجر، وذكر البكري كتابه نصوصا نسبها إلى مؤرخ من مؤرخي القيروان المشهورين 'الذين كتبوا عن تاريخ بلادهم وهو ابن أبي المهاجر المتوفى في أواخر القرن الثاني هجري وأشار إليه البكري في قوله :(وروى أبو المهاجر ...).[4]

ج/ المصادر غير المسرح بها:

هناك احتمال كبير أن يكون البكري قد أخذ بعض مادته من مصادر نصرانية ويتأكد هذا الاحتمال أثناء حديثه عن الجذور التاريخية لتسميات المناطق كما في قوله:(برقة واسمها بالرومية الإغريقية بن طابلس تفسيره خمس مدن) فضلا عن ذلك فإن اعتماده على هذه المصادر يظهر واضحا أثناء حديثه عن أولية

[1] - اسم مدينتين متقابلتين بأقصى المغرب يقال لإحداهما تيهرت القديم وللأخرى الحديث، و بهما كثرة الأمطار و الأنداء والضباب ، وشدة البرد. أنظر القزويني، المصدر السابق، ص 169.

[2] - مؤنس، نفسه، ص144.

[3] - زمان عبيد وناس، المرجع السابق، ص 313.

[4] - زمان عبيد وناس، المرجع السابق، ص313.

المدن المغربية مثال لوصفه لمدينة بونة (عنابة الحالية)بأنها (أولية وهي مدينة اقشتين العالم بدين النصرانية ويعني به القديس اغسطين أشهر رجال الكنيسة الكاثوليكية في إفريقية[1].

[1] - نفسه، ص313.

في الأخير وبعد دراسة المبحث الأول نستخلص أن كتاب المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب من الكتب الجغرافية المتخصصة ببلاد المغرب وأفريقية بل أنه وضع الجغرافي الأندلسي، بمنزلة مرموقة فصار مصدرا مهما للكثير من الجوانب من بعده، حيث كان البكري متنوع الثقافة، فكان له أثار علمية بارزة منها أثاره في اللغة والأدب وأثار في الجغرافية وأثار في الطب وغيرها من الآثار، تميز منهج البكري في المغرب بوصفه الجغرافي المتكامل عن كل منطقة يريد التحدث عنها، ثم وصفها من الجهة العمرانية والاقتصادية، والاجتماعية، ثم يذكر المعلومات التاريخية عن هذه المنطقة .

كان البكري موضوعيا عند إبداء معلوماته، إذ لا يغادر الموضوع الذي يجعله عنوانا لمبحثه، وكان دقيقا في إبداء رواياته، بحيث يذكر الموقع الجغرافي بكل تفاصيله ويحده بمناطق جغرافيه أخرى معرفه به اعتمد البكري على موردين أساسيين، الأول الرواة والأخر المؤلفات .

آليات تخطيط وعمارة المدن في المغرب الإسلامي.

1-تأثير الفتح الإسلامي على العمارة في المغرب الإسلامي.

2-شروط تخطيط وتأسيس المدن في المغرب الإسلامي.

3-مميزات العمارة في المغرب الإسلامي.

أ- المساجد والأربطة.

ب- الحصون والقلاع والأبراج.

ج - الفنادق والقصور.

د- الحمامات و الأسواق.

ه- الطرق والشوارع في المدينة الإسلامية.

4- مواد البناء التي استعملت في بناء المدن في المغرب الإسلامي.

سنتناول في مبحثنا هذا" آليات تخطيط وعمارة المدن في المغرب الإسلامي" حيث سنتطرق فيه إلى تأثير الفتح الإسلامي على العمارة في المغرب، وكذا تطور العمارة في مدن المغرب، سنتحدث عن المساجد والقصور والحمامات، كما أننا سنسلط الضوء على الشوارع، وشروط اختطاط المدن، والمواد المستعملة في البناء في العصر الوسيط.

1- تأثير الفتح الإسلامي على العمارة في المغرب الإسلامي:

- **انتقال الفاتحين وأثرهم على الشبكة العمرانية ببلاد المغرب:**

يظهر تأثير الفتح الإسلامي في بلاد المغرب، بفرض الجزية من طرف عمرو بن العاص[1] على أهل برقة[2]، ويعتبر هذا بداية للتواجد الإسلامي ببلاد المغرب، وفتح الأبواب أمام المسلمين في المنطقة كما أن سلطتهم تتأكد بالقضاء على الوجود الروماني بإفريقية، بعد التخلص من جرجير ملكها آن ذاك، ونلاحظ أن ابن عبد الحكم لم يكتف بسرد تلك الوقائع وإنما علق على عبد الله بن أبي السرح[3] وانتقده كيف أنه لم يول على إفريقية[4] أحدا[5].

ولهذا يلاحظ أن جل المصادر، ثمنت بناء معسكر القيروان، وأشادت بأهمية هذه المبادرة العمرانية[6] وعلل ذلك بفتح الباب أمام الهجرات العربية "جنود- نخبة - قبائل"،

---

[1] - هو ابن هاشم بن سعيد بن سهم، ويكنى أبا عبد الله، أسلم بأرض الحبشة عند النجاشي، ثم قدم المدينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم مهاجرا في هلال صفر سنة ثمان من الهجرة، وصحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، واستعمله على غزوات ذات السلاسل، وبعثه يوم فتح مكة إلى شوارع صنم هذيل فهدمه، وبعثه أيضا إلى حيفر وعبد ابني الحلبذ،ا وكانا من الأزد بعمان يدعوهما إلى الإسلام فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمرو بعمان فخرج منها فقدم المدينة فبعثه أبو بكر الصديق أحد الأمراء إلى الشام فتولى ما تولى من فتحها وشهد اليرموك، محمد بن سعد بن منيع الزهري، الطبقات الكبير، ج9 ،تح، علي محمد عمر، ط1 ،مكتبة الخانجي، القاهرة ، 1221هـ/2001م ،ص499.

[2] - صقع كبير يشتمل على مدن وقرى بين الإسكندرية وإفريقية ، واسم مدينتها انطابلس وتفسيره الخمس مدن. الحموي، المصدر السابق ج1، ص 388.

[3] - هو عبد الله بن سعد بن أبي السرح بن حبيب بن جذيمة ابن حشل بن عامر بن لؤي القرشي العامري ويكنى بأبى يحي واسم أبي السرح: الحسام كان من المنافقين الكفار، وأمه أشعرية واسمها مهابة بنت جابر الأشعري، أرضعت عثمان بن عفان فعبد الله بن سعد أخو عثمان بالرضاعة، أسلم عبد الله بن سعد بن أبي السرح، وحسن إسلامه وعرف فضله وجهاده فأصبح وثيق الإيمان، كامل الشعور إجبالا للإسلام وتبعاته، هاجر إلى المدينة المنورة فهو من السابقين الأولين فكان يكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم، انظر أبي زكرياء محي الدين بن شرف النووي، تهذيب الأسماء واللغات، ج1،تح إدارة الطباعة الحموية، دار الكتاب العلمية، لبنان، ط 1، د ت ط، ص ص 270-269.

[4] - مدينة متوسطة بني أكم وأقران، هلا قلعة عظيمة على قلة جبل يسمى تاقربوست وهي قاعدة ملك بين محاد بن يوسف الملقب بلكني بن زيري بن مناد الصنهاجي البربري ،وهو أو من أحدثها حدود سنة 352 هـ، وهي قرب أشري، أنظر الحموي،نفسه، ج 1، ص 382.

[5] - أبو القاسم عبد الرحمان بن عبد الله ابن عبد الحكم القرشي المصري، فتوح مصر والمغرب، تح عبد المنعم عامر، دار الذخائر، القاهرة ط، د .ت.ن ، ص229.

[6] - البكري، المسالك، ص 675؛ أنظر أبي عمر خليفة بن خياط بن أبي هبيرة الليثي العصفري؛ انظر أيضا الحموي، المصدر السابق ج 4 ، ص 344 ؛ انظر أيضا عز الدين أبو الحسن علي ابن الأثير، الكامل في التاريخ،ج1، تح أبو صيب الكرمي، دار الأفكار الدولية الأردن، ط، 2009م، ص ص418-482.

لإعطاء دفعة قوية لنجاح الفتوحات وتوسع دار الإسلام، على حساب الوجود البيزنطي في المنطقة، إلا أن الأهم من ذلك أن القيروان، في حد ذاتها، كانت منطلقا لإحياء شبكة المدن، الواقعة على الطريق التلي الداخلي، في حين تم نوعا ما، ضمور النشاط الاقتصادي على الساحل، هذا الأمر شجعه استقرار القبائل وهجراتهم نحو هذه المدن، وبناء مدن جديدة على الشبكة نفسها، ويعتبر الطريق الداخلي الذي سلكه عقبة بن نافع وأبو المهاجر دينار، بداية لفتح الطريق لمعرفة جغرافية المنطقة[1].

كما أن المسلمين اعتمدوا التقسيم الإداري البيزنطي المرتكز أساسا على مجموعة من المناطق الداخلية، وفي توسعاتهم العسكرية، استغل الفاتحون حاميات وحصون قديمة، مثل باغاي، باجة وقابس، وقد عوض ذلك ظهور المدن الجديدة، مثل القيروان وتونس، وساهم في انحطاط مراكز عسكرية أخرى مثل سبيطلة، قرطاجنة، وتبسة.[2]

- **إستراتيجية عقبة بن نافع في تأكيد الفتح:**

اعتمد عقبة بن نافع [3]، في فتحه لبلاد المغرب، على إستراتيجية إقامة قاعدة عسكرية، يستقر بها الجند ببلاد المغرب، وتمثلت هذه القاعدة في مدينة القيروان، وذلك نتيجة، لما عرف به سكان إفريقية بأنهم إذا جاءهم فاتح، دخلوا الإسلام، وإذا عاد إلى برقة، ارتدوا عن الإسلام، لذلك ارتأى عقبة بن نافع، إلى هذه الفكرة، وذلك حسب القول الذي ذكره ابن عذارى: " ووصل عقبة بن نافع الفهري إلى إفريقية في عشرة آلاف من المسلمين فافتتحها ودخلها ووضع السيف في أهلها، فأفنى من بها من النصارى ثم قال: إن إفريقية، إذا دخلها

[1]- هشام جعيط، تأسيس الغرب الاسلامي القرن الأول والثاني هـ / السابع والثامن م، بيروت، دار الطليعة، ط2، 2008م، ص 141.

[2] -نفسه، ص 141.

[3]- هو عقبة بن نافع الفهري بن قيس بن لقيط بن عمر بن أمية بن الضرب بن الحارث بن عامر بن فهر القرشي الفهري، ولد في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، وكان ابن خالة عمرو بن العاص، ولاه عمرو بن العاص إفريقية، لما كان على مصر أبو نافع بن قيس الفهري، كان ممن خنس بزينب بنت الرسول صلى الله عليه وسلم، لما توجهت مهاجرة إلى المدينة المنورة، فأفزعها وكانت حاملا فألقت ما في بطنها بعد أيام، قد مات قبل فتح مكة مشركا وفي رواية أخرى، أنه أسلم وكان مع عمر بن العاص في فتح مصر، وبعثه عمر إلى برقة، وقد بقي إلى خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه، وأمه سبية من عنزه اسمها النابغة ، فهو أخو عمرو بن العاص ألمه وفي رواية أخرى أنه ابن خالة عمرو بن العاص، ولد عقبة قبل الهجرة بسنة واحدة 621م ،وفي رواية أخرى أنه ولد قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بسنة واحدة وهذه الرواية لا صحة لها، لأن عقبة شهد فتح مصر مع عمرو بن العاص، وأحتط بها وكان فتح مصر سنة 25هـ، كما تولى قيادة جيش من جيوش المسلمين في فتح زويلة سنة 28هـ أو 22هـ، أنظر ، ابن الأثير، نفسه،ص 481 ؛ أنظر أيضا الحافظ شمس الدين الذهبي ، تجريد أسماء الصحابة ،ج1، دار المعرفة لبنان،د.ت. ن ،ص385.؛ انظر أيضا محمود شيت خطاب، قادة فتح المغرب العربي،ج1، دار الفكر، سوريا، ط7، 1404هـ / 1984م، ص ص 90-93.

إمام أجابوه إلى الإسلام، فإذا خرج منها، رجع من كان أجاب منهم لدين الله إلى الكفر، فأرى لكم يا معشر المسلمين، أن تتخذوا بها مدينة تكون عزا للإسلام إلى آخر الدهر "[1].

كما أوردت المصادر بأن عقبة بن نافع، لما وصل إلى معسكر ابن خديج لم يعجبه، فقرر أن يؤسس مدينة القيروان في موقع من أرض كانت تشغله غابة من الأشجار الصحراوية[2]، وبدأ في تأسيس معسكره الذي سيصبح أول نموذج للعمران الإسلامي ببلاد المغرب[3].

استحسن جنود عقبة بن نافع، رأيه في إقامة معسكر لهم، أو مدينة تؤويهم، وتحمسوا للفكرة وأخذ عقبة يستطلع آراءهم، لاختيار الموضع الذي يبني فيه العسكر، إذ اختار هو مكاناً وسطاً بين الساحل والداخل، بحيث يكون قريباً من المرعى، ولا يكون قريباً من البحر فيصبح في مرمى الرومان ولا يبتعد كثيراً في العمق فيكون عرضة لتحركات القبائل الصحراوية ذات الأهواء المتقلبة [4]، وكان يقول لأصحابه أنا اخترت هذا الموضع لئلا تطرقه مراكب الروم فتهلكه، وهو وسط البلاد، وكان موضع غيضة ذات طرفاء وشجر [5] .

ويبدو أن عقبة كان لديه رأي آخر في اختياره لهذا الموضع، إذ أراد أن يكون قريباً من منطقة المراعي من أجل تربية المواشي والإبل.[6]

وهذا الرأي يمثل امتداداً للفكر الإسلامي في مجال اختيار مواضع المدن، إذ سبقه في ذلك الرأي القائد عقبة بن غزوان، حينما عزم على بناء مدينة البصرة، إذ أمره الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، على اختيار موضع قريب من المرعى، لأن عدتهم الإبل والأغنام، وهذا لا يعد فكراً رعوياً، كما يردده المستشرقون إذ ينكرون على المسلمين تقدم فكرهم العمراني، والقيروان تعد أولى المدن التي بنيت في العصر الأموي، هذا وقد وصف المؤرخون موقع القيروان، إذ أشار البكري أنها: "في بساط من الأرض مديد من الجوف منها بحر تونس وفي الشرق بحر سوسة وفي القبلة بحر سفاقس وأقربها منها البحر الشرقي بينهما وبينه مسيرة يوم ،وبينها وبين الجبل مسيرة يوم وبينها وبين سواد الزيتون المعروف بالساحل مسيرة يوم ،وشرقيها سبخة ملح عظيم طيب نظيف وسائر جوانبها أرضون طيبة

[1] - ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج1، تح ج.س. كولات و إ.ليفي بروفنسال، دار الكتاب العلمية الجزائر، ط ، 2009م، ص 19 .

[2]-ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص 67.

[3] - مبارك بوطارن، تطور العمران الإسلامي مدينتا القيروان وسجلماسة نموذجا، أطروحة دكتوراه، الدولة في الآثار الإسلامية، جامعة الجزائر 2006، ص242.

[4] - حسين مؤنس، فتح العرب للمغرب، مكتبة الثقافة الدينية، ط، د.ت.ن، ص ص 143-144.

[5] - أحمد بن يحي البلاذري، فتوح البلدان، تح شوقي أبو خليل، منشورات وزارة الثقافة، سوريا دمشق، ط، 1997م، ص311.

[6] - ابن عذارى، نفسه، ج1، ص ص 20-21.

كريمة "[1]، وكان الموضع يكتظ بالأشجار المتشابكة، وتكثر فيها الهوام والحيات والعقارب القاتلة، وباقي الحيوانات البرية [2].

هذا وجاءت خطط القيروان، على وفق خطط المدن التي سبقتها، وهي البصرة والكوفة والفسطاط وأول شيء اختطه عقبة بن نافع، هو دار الأمارة، ثم اختط إلى جانبه المسجد الجامع، ويذكر أن الذي حمل عقبة على اختياره مكان المسجد ودار الإمارة، وجود بئر ماء عذبة بعرف بئر(أم عياض)، وقد جعلها وسطاً بين البنائين[3].

أما خطط الأهالي فقد وزعت بذلك الأساس القبلي، وهو استنتاج توافقه طبيعة المرحلة التاريخية وطبيعة التكوين الاجتماعي للجيوش، المرافقة للقائد عقبة بن نافع الفهري، وعمرت مدينة القيروان بمرور الزمن بأنواع الأبنية والمنشآت، وشد الناس إليها الرحال فسكنوها، ودامت حركة البناء فيها ما يقارب من الخمس سنوات، حتى اكتملت عمارتها سنة 55هـ/674م، ولأجل تأمين الحماية لها، وهو حال المدن العربية الإسلامية، أحيطت بسور محكم مبني من الطين[4].

مكث عقبة بن نافع بإفريقية، وقضى مدة خمس سنوات في تأسيس مدينته، وإرسال البعثات العلمية والعسكرية إلى نواحي إفريقية، المختلفة لنشر الإسلام، وتأكيد سلطته، بعدها عزل عقبة بن نافع، من منصبه من قبل أبو المهاجر دينار، سنة 51 ه / 671 م، وبسبب الصراع القائم بين عقبة بن نافع وأبو المهاجر دينار، رفض هذا الأخير البقاء في القيروان، لسبب أنها تعتبر مدينة عقبة بن نافع، فقام بإنشاء على بعد ميلين منها، في مكان آخر مدينته الجديدة، التي سماها تقيروان، والتي لا نجد في المصادر الكثير من المعلومات حولها، وذلك لاهتمام المؤرخين بالعداوة، التي بين أبي المهاجر و عقبة بن نافع، وبالتالي أغفلوا الحديث عنها[5].

إن هذا المنطلق، ساهم خلال الثلاث القرون الأولى، بعد الفتوحات في تنشيط خط عمراني اقتصادي، يمتد من القيروان إلى فاس[6] مرورا بتيهرت[1]، وذلك من خلال تأسيس

---

[1] - البكري، المسالك، ص 657.

[2] - البلاذري، المرجع السابق، ص311.

[3]- ابن عذارى، المصدر السابق، ص 19.

[4] - ابن الأثير، المصدر السابق، ج 3، ص 366.

[5] - بوطارن، المرجع السابق، ص 242.

[6]- مدينتان كبيرتان مفترقتان، يضيق بينهما نهر كبير، يسمى بوادي فاس يدور عليها سور عظيم، ومدينة فاس ،محدثة تأسست عدوة الأندلس سنة 192 ه/ 808م وعدوة القرويين سنة 193ه/ 890 م في ولاية إدريس الفاطمي، أنظر، مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، تح سعد زغلول، عبد الحميد دار النشر المغربية، الدار البيضاء، ط، 1985م، ص 180.

الدويلات المستقلة الأولى، ذات الانتماء المشرقي والتي ساهمت في استقطاب الهجرات العربية إلى المنطقة، وأيضا تحكمهم في المجالات الحضرية[2]، وقد أثبت اليعقوبي ذلك منتصف القرن الثالث في خضم حديثه عن مدينة القيروان وذكر أن بها "...أخلاط من قريش ومن سائر بطون العرب من مضر وربيعة وقحطان وبها أصناف من العجم من أهل خراسان..." [3]، ساهم هذا في تحول النمط العمراني، الموروث عن العمارة البيزنطية، إلى نمط وافد من بلاد المشرق، وخاضع للأحكام المرتبطة بالعقيدة والدين الإسلامي، وهذا إذا اعتبرنا أن القيروان ليست الوحيدة، التي استقطبت الاستقرار العربي الإسلامي، وإنما جل المدن الواقعة على الخط الداخلي المذكور[4].

و من الضروري ذكر جهود حسان بن النعمان [5]، في تثبيت الفتح، وتحقيق المكاسب العسكرية والعمرانية، والمحافظة عليها، وتعتبر جهوده في السيطرة على إفريقية، ومنطقة الأوراس، تكريس للوجود والاستقرار الإسلامي في المناطق الداخلية، فالكاهنة[6] استوعبت ذلك وقالت للبربر: "إن العرب إنما يطلبون من إفريقية المدائن والذهب والفضة" خاصة أنهم اتبعوا طريق تواجد المدن القديمة، وإن لاحظنا هنا نوعا من تخريب واندثار، الكثير من المناطق العمرانية، بسبب الصراع بينها وبين حسان بن النعمان إلا أنه ساهم في بناء تونس، وإعادة الاعتبار للواجهة البحرية، من خلال بناء دار لصناع السفن، التي تعبر في حد ذاتها عن الاستقرار الإسلامي بها، ومهما يكن من أمر فإننا لا نشك في هجرة القبائل العربية إليها واختطاط المدينة، وفقا للنموذج الإسلامي بدلا من البيزنطي الذي يعتمد على النموذج

---

[1] - ذكرها البكري باسم تيهرت، بفتح الهاء وسكون الراء وتاء فوقها نقطتان: اسم لمدينتين متقابلتين بأقصى المغرب، يقال لإحداهما تاهرت القديمة والأخرى تاهرت المحدثة ، وهي بين تلمسان وقلعة بين حماد أنظر: البكري، المغرب في ذكر إفريقية والمغرب ،ج2،ص269؛ انظر أيضا الحموي، المصدر السابق، مج2، ص 8.

[2] - جعيط، المرجع السابق، ص 147.

[3] - أحمد بن أبي يعقوب بن واضح اليعقوبي، لبلدان، تح محمد أمين ضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط، 1422هـ /2002م، ص187.

[4]- نفسه، ص 187.

[5] - هو حسان بن النعمان بن عدي بن مغيث بن عمرو مزيقياء بن عامر ماء السماء بن الأزد، وترعرع في بيت عريق، له ماض مجيد في القيادة والحكم، انتقل جده عمرو مزيقياء الذي كان من ملوك اليمن إلى أرض الشام، فكان أولاده وأحفاده ملوك بني غسان، كان حسان من التابعين، وقد حدث عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكانت له مكانة مرموقة عند بني أمية وعند الناس، حتى أطلق عليه لقب الشيخ الـأمين. انظر محمود شيت، المرجع السابق، ج1، ص ص 172-173.

[6] - امرأة بربرية قوية الشخصية ذكية الفؤاد، احترفت السحر، والكاهنة والكاهن في البربر كالكاهن عند العرب في الجاهلية، هو عامل قومه و ناحيته والقاضي الذي يفصل في الكثير من النوازل، واسم الكاهنة داهيا بنت ماتيا بن تيفان، وكان زوجها ملكا على جبال الأوراس، فترك لها ثلاثة أولاد صغار، والكاهنة من قبيلة جراوة من زناتة القبيلة المشهورة التي كانت لها الزعامة، انظر الطاهر أحمد الزاوي الطرابلسي، تاريخ الفتح العربي في ليبيا، دار المعارف، مصر، ط، 1954م، ص88 .

المربع، ومما يثبت بواعث الاستقرار الإسلامي في المنطقة أن بعض الوفود، والهجرات الفردية أو الجماعية جاءت إلى المغرب مباشرة بعد القضاء على الكاهنة[1].

وبالتالي نصل إلى أن ظهور العمارة الإسلامية، في بلاد المغرب، بعد الفتح الإسلامي، كان في شكل حاميات عسكرية للجند، يعتمد عليها للانطلاق في فتح المنطقة، وكذلك اعتبارها مركزا لتعزيز الدين الإسلامي في المنطقة، وإن كان من المبالغة أن نعتبر أن فترة الفتوحات، كان لها كل الفضل في التحولات العمرانية الجديدة، التي عرفتها المنطقة، إلا أنه من الإنصاف أن نقول إنها ساهمت بشكل كبير في إحياء مدن واندثار أخرى، و التعمير الإسلامي للمنطقة.

2- شروط تخطيط وتأسيس المدن في المغرب الإسلامي:

من بين الشروط التي يجب مراعاتها في تخطيط المدن في المغرب الإسلامي، والتي ذكرها ابن خلدون في مقدمته، كما ظهرت بعض الإشارات المؤكدة لذلك في كتاب البكري - المُغرِب في ذكر بلاد إفريقية والمَغرب - في وصفه للعديد من المدن وهي:

-أن تكون المدينة في مناطق زاخرة بالمرافق، كالمياه والمراعي، فيستحسن أن تقع المدينة على نهر أو بجانب الينابيع العذبة[2]، حيث نرى أن البكري لا يكاد يصف مدينة، إلا وذكر أن بها أو بقربها منابع وآبار للماء، بساتين ومراعي، فيقول في وصفه لمدينة نفزاوة:" ...ولمدينة نفزاوة عين تسمى بالبربرية تاورغي... وهي على نهر كثير النخل والثمار ... وبقلبيها مدينة أولية ... حولها عيون وبساتين "[3]، وفي ذكره لمدينة طبنة فيصفها قائلا:" وبها قصر وأرياض وداخل القصر جامع وصهريج كبير يقع فيها نهرها ومنه تسقى بساتينها"[4]، ويقول في وصفه لمدينة تونس:"... وبشرقي مدينة تونس بحيرة كبيرة دورها أربعة وعشرون ميلا... والمينى متصلة بالبحيرة والبحيرة متصلة بالبحر" [5]، ويقول : "... و بجلولا آثار وأبراج قائمة للأول وآبار عذبة"[6].

ويقول في وصفه لمدينة المهدية:" وفي المهدية من المواجل العظام تلاثمائة وستون غير ما يجري إليها من القناة التي فيها، والماء الجاري بالمهدية جلبه عبيد الله من قرية منانش" [7]، ويؤكد ذلك قول ابن خلدون أيضا في مقدمته: " و مما يراعى من المرافق في

[1] - بن خياط، المصدر السابق، ص 169.
[2] - مرزوق بتة، عبد الغاني حروز، تخطيط المدن الإسلامي والشروط التي تحدث عنها المفكرون العرب، مجلة معارف، العدد 1، جوان2021م، ص855.
[3] -البكري، المسالك، ص707.
[4]- نفسه، ص711.
[5] - نفسه، ص 695.
[6] - نفسه، ص685.
[7]- نفسه، ص682.

المدن، طيب المراعي لسائمتهم، إذ صاحب كل قرار لا بد له من دواجن الحيوان للنتاج، والضرع والركوب، ولا بد لها من المرعى، فإذا كان قريباً طيباً كان ذلك أرفق بحالهم لما يعانون من المشقة في بعده، ومما راعى أيضاً المزارع، فإن الزروع هي الأقوات فإذا كانت مزارع البلد بالقرب منها كان ذلك أسهل في اتخاذه، وأقرب في تحصيله ومن ذلك الشجر للحطب، والبناء فإن الحطب مما نعم البلوى في اتخاذه، لوقود النيران للاصطلاء والطبخ، الخشب أيضاً ضروري لسقفهم ، وكثير مما يستعمل فيه الخشب من ضروريا لهم "[1].

-أن تقع المدينة في موقع إستراتيجي حصين، كأن تكون على هضبة متوعرة أو أن تكون في استدارة بحر أو انحناء نهر حتى لا يصل العدو إليها إلا بعد العبور على جسر أو قنطرة فيسهل ذلك لأهلها الدفاع عنها ويصعب سيطرة العدو عليها[2]. حيث يقول ابن خلدون: "...إعلم أن المدن قرار يتخذه الأمم عند حصول الغاية المطلوبة من الترف ودواعيه، فتؤثر الدعة ،والسكون، وتتوجه إلى اتخاذ المنازل للقرار، ولما كان ذلك القرار والمأوى، وجب أن يراعى فيه دفع المضار بالحماية من طوارقها، وجلب المنافع، وتسهيل المرافق لها، فأما الحماية من المضار فيراعي لها أن يدار على منازلها جميعاً سياج الأسوار، وأن يكون وضع ذلك في تمنع من الأمكنة إما على هضبة متوعرة من الجبل و إما باستدارة بحر، أو نهر بها حتى لا يوصل إليها، إلا بعد العبور على جسر أو قنطرة، فيصعب منالها على العدو، ويتضاعف امتناعها و حصنها... "[3] .

ويقول أيضا : "...و متى كانت القبائل والعصائب موطنين بقربها، بحيث يبلغها الصريخ و النعير، وكانت متوعرة المسالك على من يرومها باختطاطها، في هضاب الجبال، وعلى أسنمتها، كان لها بذلك منعة من العدو، وينسوا من طروقها، لما يكاد بدونه من وعرها، وما يتوقعونه من إجابة صريخها، كما في سبتة وبجاية، وبلد القل على صغرها، فافهم ذلك واعتبره في اختصاص الإسكندرية، باسم الثغر من لدن الدولة العباسية مع أن الدعوة من ورائها ببرقة وأفريقية، و إنما اعتبر في ذلك المخافة المتوقعة فيها، من البحر لسهولة وضعها، ولذلك والله أعلم، كان طروق العدو للإسكندرية وطرابلس في الملة مرات متعددة و الله تعالى أعلم"[4].

[1]- عبد الرحمان بن خلدون، المقدمة، ج2، تح عبد الله محمد الدرويش، دار البلخي، دمشق، ط، 1425هـ/2003م، ص12.

[2]- بنة، وحروز، المرجع السابق، ص855.

[3] - ابن خلدون، المقدمة، ج2، ص15.

[4]- نفسه، ج2، ص 17.

-قربها من طرق التجارة البحرية والبرية، وهنا نلاحظ التركيز على الناحية التجارية ومدى أهميتها لقيام المدن، وتوفير فرص العمل لسكان المدن والتبادل التجاري بين المدن المختلفة، وأيضا لها تأثير هام بتبادل واختلاط الثقافات بين الشعوب المختلفة.[1]

حيث يقول ابن خلدون في مقدمته: " وقد يراعى أيضاً قربتها من البحر لتسهيل الحاجات القاصية من البلاد الثانية، إلا أن ذلك ليس بمثابة الأول، وهذه كلها متفاوتة بتفاوت الحاجات، وما تدعو إليه ضرورة الساكن، وقد يكون الواضع عاقلا، عن حسن الاختيار الطبيعي، أو إنما يراعي ما هو أهم على نفسه و قومه، و لا يذكر حاجة غيرهم، كما فعله العرب لأول الإسلام في المدن التي اختطوها بالعراق وأفريقية، فإنهم لم يراعوا فيها إلا الأهم عندهم من مراعي الإبل، وما يصلح لها من الشجر والماء الملح، ولم يراعوا الماء ولا المزارع ولا الحطب ولا مراعي السائمة من ذوات الظلف، و لا غير ذلك كالقيروان والكوفة والبصرة وأمثالها ولهذا كانت أقرب إلى الخراب ما لم تراع فيها الأمور الطبيعية..."[2] ويؤكد ذلك البكري في وصفه لمدينة بونة " ... وهي على ساحل البحر في نشر من الأرض منيع ..."[3].

- أن تؤسس المدينة بموضع طيب الهواء، حتى لا يتعرض أهلها للأوبئة، ويجب تجنب المناطق التي يركد فيها الهواء، أو التي تجاور المستنقعات[4]، ويتحدث ابن خلدون عن ذلك ويقول:" و مما يراعى في ذلك للحماية من الآفات السماوية، طيب الهواء للسلامة من الأمراض، فإن الهواء إذا كان راكداً خبيثاً أو مجاوراً للمياه الفاسدة أو منافع متعفنة أو مروج خبيثة، أسرع إليها العفن من مجاورا فأسرع المرض للحيوان الكائن فيه لا محالة، و هذا مشاهد في المدن التي لم يراع فيها طيب الهواء، كثيرة الأمراض في الغالب..... الحق في ذلك أن هذه الأهوية العفنة، أكثر ما يهينها لتعفين الأجسام وأمراض الحميات ركودها ، فإذا تخللتها الريح تفشت وذهبت بها يميناً وشمالاً خف شان العفن و المرض البادي منها للحيوانات، و البلد إذا كان كثير الساكن، و كثرت حركات أهله فيتموج الهواء ضرورة، وتحدث الريح المتخللة للهواء الراكد، ويكون ذلك معيناً له على الحركة والتموج، وإذا خف الساكن لم يجد الهواء معيناً على حركته وتموجه، وبقي ساكناً راكداً وعظم عفنه و كثر ضرره"[5]

[1] -أنظر الملحق رقم1.
[2]- ابن خلدون، المقدمة، ج2، ص17.
[3] - البكري، المسالك، ص717.
[4]- بتة، وحروز، المرجع السابق، ص855.
[5]- ابن خلدون، المقدمة، ج2، ص15.

- يجب على المدن التي تقع على السواحل، وشواطئ البحار، أو أن تكون على أعلى جبل أو في مكان مرتفع، حتى لا يسهل للعدو الاستيلاء عليها[1]، إذ يقول ابن خلدون أيضا " ومما يراعى في البلاد الساحلية التي على البحر أن تكون في جبل، أو تكون بين أمة من الأمم موفورة العدد، تكون صريخاً للمدينة متى طرقها طارق من العدو، والسبب في ذلك أن المدينة إذا كانت حاضرة البحر ولم يكن بساحتها عمران للقبائل أهل العصبيات ولا موضعها متوعر من الجبل، كانت في غرة للبيات وسهل طروقها في الأساطيل البحرية على عدوها، وتحيفه لها لما يأمن من وجود الصريخ لها، وأن الحضر المتعودين للدعة قد صاروا عيالاً وخرجوا عن حكم المقاتلة"[2]، ويقول البكري أيضا عن مدينة تيفاش: "... وهي مدينة أولية ... وهي في سفح جبل"[3].

3-مميزات العمارة في المغرب الإسلامي:

أ/ المساجد والأربطة:

المساجد:

إن أول ما ميز عمارة المدينة الإسلامية هو المسجد لأنه أول معلم إسلامي بني في عمارة الحضارة الإسلامية بحيث يعتبر مسجد قباء أول مسجد، والذي بني في يثرب بعد هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم، ويبعد عن المسجد النبوي بحوالي 5 كيلومترات وفيه مبرك الناقة المشهورة .

- **جامع عقبة بن نافع بالقيروان:**

من أقدم مساجد بلاد المغرب[4]، و أكثرها أهمية، إذ أن تخطيطه وعناصره المعمارية، كانت أساسا سار عليه الطراز المعماري في المغرب والأندلس، وقد أرخ الانتهاء من تشييده إلى سنة 55ه/ 674م وهو نفس العام الذي عُزل فيه عقبة من ولاية إفريقية، وتولى بدلا منه أبو المهاجر، فأهمل الجامع حتى عاد عقبة إلى ولاية إفريقية مرة ثانية سنة 62ه 681م فاهتم بالجامع.[5]

حيث ذكر البكري في كتابه ، أن أول من وضع محرابه، وبناه عقبة بن نافع، ثم هدمه حسان حاشى المحراب، وبناه وحمل إليه الساريتين الحمراوين الموشاتين بصفرة، اللتين لم يرى الراءون مثلهما من كنيسة كانت للأول، في الموضع المعرف اليوم بالقياسرة سوق

---

[1]- نفسه، ص855.

[2] - ابن خلدون، المقدمة، ج2، ص17.

[3] - البكري، المسالك، ص 715.

[4]- أنظر الملحق رقم 2.

[5] - أحمد فرحات، مسجد قباء أول مسجد في عهد نبي الإسلام محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، جريدة النهار، العدد 1627، ص 27.

الضرب ويقولون إن صاحب القسطنطينية بذل لهم فبها قبل نقلها إلى الجامع زنهما ذهبا فابتدروا الجامع بها، ويذكر كل من رآهما أنه لم ير في البلاد ما يقترن بهما [1].

تخطيط الجامع:

كان الجامع عند إنشائه بسيطا، يتكون من ظلة قبلة من أربعة أساكيب، تفصل بينهما أعمدة خشبية، ترتكز عليها الأسقف مباشرة، دون عقود، مثلما كان الحال في المساجد الإسلامية المبكرة ومنها مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم، وفي سنة 84ه/703م، قام حسان بن نعمان بإصلاح وتجميل الجامع مع الاحتفاظ بالشكل العام له، إذ كان يتكون من ظلة قبلة مقسمة إلى أربعة أساكيب يتقدمها صحن مكشوف لا تحيط به محنبات، كما أبقى على محراب عقبة، وفي سنة 105- 109 ه/727-724م، لما كانت خلافة هشام بن عبد الملك، كتب إلى عامله بالقيروان يُعلمه أن الجامع يضيق بأهله، و قام البشير بن صفوان بأمر من الخليفة هشام بن عبد الملك بتوسيع المسجد، وتمثل ذلك في إضافة حديقة في الجهة الشمالية يتوسطها ماجل مازال يعرف بالماجل القديم، كما مد بوائك بيت الصلاة بواقع ثلاثة عقود الزيادة التي يحددها صف العقود الممتدة موازيا لجدار القبلة عند نهاية العقد السابع[2]، وفي سنة 155ه/ 772م قام يزيد ابن حاتم والي إفريقية بهدم المسجد باستثناء المحراب وأعاد بناؤه سنة 175ه/791م [3].

وفي سنة 249ه/863م قام أبو إبراهيم أحمد، بعدة إصلاحات شملت زخرفة المحراب ببلاطات الرخام القاشاني حول المحراب المنبر المصنوع من خشب الزجاج، وهو أقدم منبر باق في العمارة الإسلامية [4].

وفي سنة 261-290ه/875-903م قام إبراهيم بن أحمد بعدة أعمال شملت زيادة طول البلاطات، وضع قبة على بداية البلاط الأوسط، من ناحية الصحن " قبة البهو " وبذلك أصبح يعلو البلاط قبتان، وأصبح أسلوب وضع قبتين على البلاط الأوسط، من بيت الصلاة، أسلوبا متبعا في مساجد المغرب والأندلس[5]، وقد وصف البكري قبة البهو في هذا الجامع بقوله: " القبة التي بباب البهو على أخر بلاط المحراب" [6]، مما يدل على تأصل هذه المصطلحات (البهو- البلاط) في عمارة بلاد المغرب، كما أقام المحنبات التي تدور حول الصحن،

[1] - صلاح أحمد البهنسي، عمارة المغرب والأندلس في العصر الإسلام، جامعة عين الشمس، ط، القاهرة، مصر، د.ت.ن، ص25.

[2] - أنظر الملحق رقم 3.

[3] - البهنسي، نفسه، ص ص 25-26 .

[4] - نفسه، ص 27.

[5]- نفسه، ص 28 .

[6]- البكري، المسالك، ص673.

وزيادة عدد أبواب الجامع إلى عشرة أبواب، و بنى مقصورة للنساء محددة بحجاب من الخشب في الجهة الشرقية من ظلة القبلة، وهذه الزيادة هي التي أعطت الجامع الصورة التي بقى عليها إلى الآن [1].

- **جامع القرويين:**

ويقع في عدوة القرويين لذلك نسب إليهم، وكان يعرف عند إنشائه بجامع الشرفاء، ويرجع تاريخ بناء الجامع إلى سنة 192هـ / 808م معاصراً لجامع الأشياخ في عدوة الأندلسيين ، وقامت فاطمة الفهرية سنة 243هـ/ 857م بتوسيع الجامع وإعادة بنائه ، فتضاعفت مساحته ، وزاد بيت الصلاة عمقاً ووسع الصحن وأعيد بناء المجنبا، كما أنشئ للجامع محاب و منير ، وبنيت الصومعة .[2]

الأربطة:

الرباط من المباني المخصصة لإقامة الجند، الذين يرابطون فيها للدفاع عن حدود الدولة الإسلامية لذلك فقد كان المعتاد إقامة الأربطة على السواحل، أو في مناطق الحدود البرية، ومن أقدم الأربطة في بلاد المغرب رباط المنستير[3] الذي أقامه هرمة بن أعين سنة 179هـ / 795م، بأمر الخليفة هارون الرشيد. كما تضم مدينة المنستير رباط سيدي ذويب ورباط السيدة أم ملال عمة المعز بن باديس أمير البلاد الذي كان واليا على إفريقية من قبل الفاطميين، ويرجعان إلى القرن 3هـ / 9م.[4]

ويعد رباط سوسة[5] من أهم أمثلة الأربطة في المغرب الإسلامي، ويقع في مدينة سوسة التي أعاد إليها الأغالبة مجدها، الذي كان لها في زمن الفنيقيين والرومان، بعد أن فقدت أهميتها بعدما أسس عقبة بن نافع مدينة القيروان في الجنوب الغربي من سوسة، واتخذها عاصمة له، ونظرا لموقع مدينة سوسة على البحر الذي يحيط بها من الشمال والشرق والجنوب فقد اهتم الأغالبة بتحصينها، سواء كان ذلك بإحاطتها بسور منيع من الصخر، أو ببناء الأربطة، فقد ذكر ابن حوقل ق 4 هـ / 10م أن بها رباطات كثيرة [6]، وكانت الأربطة منتشرة في المغرب الإسلامي، حيث أدت الكثير من الوظائف، فهي أماكن إقامة المجاهدين في سبيل الله، كما كانت مكانا لفداء أسرى المسلمين، فقد كان يفد عليها هؤلاء الأسرى، ويقدم الأهالي ما يستطيعون من مال أو ذهب أو غيره لفدائهم، وعندما قلت حركة الفتوحات

---

[1]- البهنسي، المرجع السابق، ص26.

[2]- نفسه، ص 76.

[3] -أنظر الملحق رقم 4.

[4]- البهنسي، نفسه، ص 52.

[5]- أنظر الملحق رقم 5.

[6] - أبي القاسم ابن حوقل النصيبي، صورة الأرض المسالك والممالك ، دار مكتبة الحياة، لبنان بيروت، ط ، 1995م، ص ص74-75.

الإسلامية، أصبحت أماكن لإيواء المتصوفة، والزهاد المنقطعين للعبادة من الرجال أو النساء. ومع هذا التحول الذي حدث في وظيفة الرباطات، والتي أصبحت وظيفة دينية فقط، وليست عسكرية حدث تحول في مواقعها، حيث أصبحت تقام داخل المدن بعدما كانت تقام خارجها.[1]

ب/ الحصون والقلاع والأبراج:

اعتبر الإسلام بناء الأسوار والأبراج والقلاع والحصون من الوسائل التي تساعد على حفظ النفس والمال والعرض وهي مقاصد الإسلام،حتى أصبح السور من العناصر المعمارية المميزة للمدينة، واعتبرها الفقهاء من البناء الواجب خاصة وإذا كانت الحاجة الملحة لها لحماية حرمات المسلمين وأقر الفقهاء بالتزام العامة بالمشاركة في بنائها وخصوصا إذا دعت الظروف إلى ذلك،ودعت هذه الأحكام أيضا إلى المحافظة عليها وعدم هدمها[2].

اشترط العلماء المسلمين أن يكون اختيار موقع المدينة حصينا بطبيعته، حيث يساعد الموقع المحصن طبيعيا على سهولة الدفاع عن المدينة، لكن ذلك لا يمنع من إقامة الأسوار حولها، لتحقيق هذه الغاية تحقيقا سليما، وذلك تجلى في تخطيط الأسوار والقلاع والحصون والأبراج، ومما يكشف لنا على هذه الصفة في تحصين المدينة ما قاله الدهقان للمنصور:" أن نتخذ لها الأسوار والخنادق والحصون"[3]، وتطوير هذا التخطيط من فترة إلى أخرى، كان مرتبط ارتباطا وثيقا بتطور وسائل الدفاع والهجوم، فنجد المدن الإسلامية منذ بداية نشأتها أخذت مظهرا حربيا، فقد كانت بمثابة معسكرات حربية تفي بمتطلبات الجيوش الفاتحة، وكانت بعدها مراكز للانطلاق نحو فتوحات جديدة، وكانت إستراتيجية اختيار مواقع هذه المدن، هي أن تكون على اتصال بري مباشر بمركز القيادة في المدينة، لا يفصلها عنها موانع مائية ثم اتبع هذا المنهج في اختيار عقبة بن نافع موقع مدينة القيروان، فجعلها بعيدة عن البحر داخل الصحراء حتى لا تكون في مرمى الأساطيل المعادية، لاسيما وأن المسلمين في هذه الفترة لم تكن لهم القوة البحرية للدفاع عن المدن الساحلية، و لتكون الحاجة لإنشاء الأسوار حول المدن الأولى، ذلك ولأن دواعي الأمن والأمان في أقاليم الدولة الإسلامية الناشئة كانت متوفرة[4]، و انتشرت في مدن بلاد المغرب الكثير من الحصون والقلاع، وكان ذلك للضرورة الدفاعية لتوفير الحماية في مدن بلاد المغرب، فمثلا نذكر مدينة تيهرت التي

[1] - البهنسي، المرجع السابق، ص 53.
[2] - القزويني، المصدر السابق، ص807.
[3] - محمد بن جرير الطبري أبو جعفر، تاريخ الأمم والملوك، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط، 1997م، ص238.
[4] - محمد عبد الستار عثمان، المدينة الإسلامية، مجلة عالم المعرفة، الكويت، 1988م، ص ص 166،125.

عرفت عدة حصون كحصن لواتة [1]الذي يقع على نهر منية، كذلك حصن اسكادال[2]، وحصن تسلونت[3]، وحصن تالغمنت[4] خارج المدينة، ونجد بمدينة المهدية العديد من الأبراج والحصون فيها ستة عشر برجا ثمانية منها في السور الأول وثمانية في الزيادة، منها برج أبي الوزان النحوي وبرج عمان وبرج عيسى، وبرج الدهان نسب إليهم لقرب مساكنهم منها[5].

اعتمدت المدن في بلاد المغرب على سياسة إنشاء الحصون والأبراج، والإكثار منها بالمدن المغربية نظرا لأهمية المواقع الإستراتيجية، للمدن والذي يعرض البعض منها للصراع من أجل الاستيلاء عليها وكانت تشيد القلاع من الحجارة والطوب وهي نصف دائرية من أهم القلاع في بلاد المغرب تذكر على سبيل المثال قلعة بني حماد، وهي أعظم قلعة تشبه في تحصينها قلعة أنطاكيا بناها ملك بني حماد بن يوسف (ت.374/ 984م)[6].

ج/ الفنادق والقصور:

الفنادق:

ثمة جزء هام في المدينة الإسلامية، وهو ما يجوز أن نطلق عليه اسم العمارة التجارية وهو الفنادق أو الخانات، التي نمت خلال العصور الوسطى وتطورت[7]، وشاع مصطلح الفندق في المغرب الإسلامي للدلالة على نزل أعد لإقامة الإنسان[8]، وذكر البكري الفنادق في عدة مواضع في كتابه منها قوله : "ومن مدينة قلقاشنة إلى القيروان اثنا عشر ميلا وهي تحتوي نحو عشرين فندقا " [9]، وكذلك بمدينة المهدية[10]، وأيضا في وصفه لمدينة باجة:" وبمدينة باجة فنادق كثيرة وبساتين عظيمة "[11].

[1] - نسبة لقبيلة لواتة التي عندما تسلطت عليها قبيلة هوارة ضعنت عن المدينة وخلت عنها ونزلت بحصتها المعروف بحصن لواتة نسبة لهم، أنظر ابن الصغير، أخبار الأئمة الرستميين، تح محمد ناصر وإبراهيم بجاز، دار المغرب الإسلامي، بيروت، ط، 1985م، ص74 .

[2] - وهو بقبلة تيهرت على مسيرة يوم وأزيد قديما في مجتمع الإباضية، أنظر ابن الصغير، نفسه، ص73.

[3] - وهو حصن يبعد مسيرة أميال من حصن لواتة ومنه مخرج عيون نهر مينة الجاري من قبلة تيهرت كما يعرف أيضا بحصن تاملونت أو تماليت، أنظر ابن الصغير ، نفسه، ص 93.

[4] - هي القرية المعروفة بتغلمنت في صحراء المغرب الاوسط، أنظر ابن صغير، نفسه، ص 93.

[5] - البكري، المسالك، ص683.

[6] - الحموي، المصدر السابق، ج3، ص94.

[7] - ثروت عكاشة، القيم الجمالية في العمارة الإسلامية، دار الشروق، القاهرة، ط، 1994م، ص 70.

[8] - نفسه، ص90.

[9] - البكري، المسالك، ص695.

[10] - نفسه، ص 695.

[11] - نفسه، ص719.

القصور:

يعتبر بناء القصور ظاهرة حية، تعبر عن المستوى الحضاري الذي بلغته الدولة، فكان اهتمام المسلمين كبير للبناء والتشييد[1]، حيث تميز المغرب الإسلامي بوجود القصور، وظهر ذلك في كتاب البكري في وصفه للعديد من المدن: " ..إن الذي بنى مدينة رقادة، واستخدمها دارا ووطنا إبراهيم بن أحمد، وانتقل إليها من مدينة القصر القديم ،وبني بها قصورا عجيبة وقصر عبد الله البكري سري المباني بابه غربي وقصر سري المباني بابه غربي وقصر ابنه أبي القاسم بإزائه بابه الشرقي بينهما رحبة فسيحة قصر قومش بقرطاجنة وقصور لبني الأغلب ... قصر لجم وهو المعروف بقصر الكاهنة وهو مبني بالحجارة طول الحجر منها خمسة وعشرون شبرا ونحوها وارتفاعه في الهواء أربعة وعشرون قامة وهو من داخله مدرج طله إلى أعلاه وأبوابها طاقات بعضها فوق بعض بأحكم صناعة"[2].

د/ الحمامات والأسواق:

الحمامات:

وهي من المنشآت المدنية التي كثر إنشائها في المدينة الإسلامية، لحاجات وظيفية، ارتبطت بدعوة الإسلام إلى النظافة والتطهر، اهتمت سلطات المدينة بتنظيم إنشائها، وما يتصل بذلك من تزويدها بمصادر المياه وقنوات الصرف، واشتمل الحمام معماريا، في الغالب، على مدخل صغير، يؤدي إلى ممر منكسر ينتهي إلى المشلح[3]، الذي يشتمل على مواضع لخلع الملابس وحفظها، و به مجلس "معلم" الحمام (صاحب الحمام)، الذي يأخذ الأجور، ويشرف على العمل بالحمام، ويتصل المشلح بالحجرة الأولى من الحمام، وهي التي تسمى الحجرة الباردة أو البيت الأول، وهي مزودة بأحواض الماء والهواء الساخن المار عبر أنابيب فخارية ،بحوائط القاعة آتية من جهة المستوقد، وتتصل هذه الحجرة بحجرة الحمامات[4]، كما ذكر البكري الحمامات في العديد من المدن، منها مدينة المهدية[5]، وبمدينة باجة حيث قال أن بها خمسة حمامات [6].

---

[1] -حدة غرابي، فن العمارة في المغرب الأوسط في العهد الزياني(633 – 692هـ/1235-1555م)، مذكرة لنيل شهادة ماستر تخصص تاريخ وسيط، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة المسيلة، 2014/2013، ص37.

[2] - البكري، نفسه، ص ص684، 670.

[3] - عبد الستار، المرجع السابق، ص194.

[4] - نفسه، ص221.

[5] - البكري، المسالك، ص684.

[6] - نفسه، ص719.

الأسواق:

تميزت المدينة الإسلامية بوجود الأسواق، والذي يكون لقضاء حاجات السكان الاقتصادية والتجارية حيث يوفر عليهم عناء التنقل للبيع والشراء، ويكون بالقرب من المسجد للاستفادة من مركزيته، وسهولة الوصول إليه من كل أطراف المدينة[1]، قال الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه "هي على سنة المساجد من سبق إلى المقعد فهو له حتى يقوم منه أو يفرغ إلى بيته أو يفرغ من بيعه "[2]، كما تميزت بلاد المغرب بالأسواق كغيرها من المدن الإسلامية، إذ عدد البكري الكثير من الأسواق منها سوق الحسيني بسفاقس، وأن بسوسة أسواق كثيرة .[3]

ه/ طرق و شوارع مدن المغرب الإسلامي:

تأثر تخطيط شوارع المدينة الإسلامية، بنظام تحصينها وأسوارها، حيث تتحكم في شكل الطريق من حيث الضيق أو الاتساع أو الانخفاض أو الارتفاع، وما يترتب عن ذلك من تسهيل أو إعاقة حركة المرور فيها، حيث نجد توافق في اتخاذ الأبواب، تخطيطا حربيا معينا في المدينة الإسلامية، مع مراعاة حق الطريق فارتفعت الأبواب المؤدية إلى داخل المدن ارتفاع فارس راكبا جواده ورافعا رمحه، وهو ارتفاع أكدت على تحديده أحكام الفقه الإسلامي، عندما تعرضت لبناء بعض العناصر والوحدات على الطريق كالبوابات والدروب والحجرات[4]، وأثرت الأسوار في تحديد مساحة المدينة والتي أثرت بدورها في الامتدادات الرئيسية للشوارع، وأثر ذلك أيضا في تلاصق المباني، كما أثر موضع المسجد الجامع في اتجاهات الشوارع حيث اقتضت وظائفه الدينية والسياسية، على أن يكون موضعه، وسط المدينة، ليكون قريبا من كل موضع فيها ومن حوله خطة الخطط (الأحياء)، التي توجهت شوارعها الرئيسة إلى المسجد الجامع الذي يتوسطها، وبدورها وجهت السكك والأزقة الفرعية المتصلة بها.[5]

- **مقاييس الشوارع و اتجاهاتها:**

وجدت في المدينة الإسلامية نوعان من الشوارع ، نوع أطلق عليه الفقهاء " الطريق السابلة " أو طريق المسلمين " أو " طريق العامة "، والتي تعني أن هذا النوع من الشوارع ملك للعامة، وللجميع حق الارتفاق بها، أما النوع الثاني، وهي التي تتصف بأنها غير نافذة، وهي النوع الثاني من شوارع المدينة الإسلامية، والتي تركت حرية تخطيطها وتحديد مقاييسها لأصحاب الخطط (الأحياء)، وهي مشتركة الملكية لأصحاب الدور المحيطة بها

[1]- أسامة إسماعيل عثمان، التخطيط الحضري في بعض مصنفات العلماء المسلمين، دراسة في الفكر الجغرافي، مجلة البحوث الجغرافية، العدد 10، جامعة الكوفة، ص 282.

[2] -الطبري، المصدر السابق، ج1، ص15.

[3] - البكري، نفسه، ص 670.

[4] - اليعقوبي، المصدر السابق، ص8.

[5] - عبد الستار، المرجع السابق، ص191.

والجدير بالذكر، هو أن اهتمام المسلمين بالشوارع، والطرق في المدن الإسلامية، راجع إلى الشريعة التي اهتمت بالطريق وحقه اهتماما بارزا، حيث بدأ هذا الاهتمام مع الرسول صلى الله عليه وسلم، فكانت أحاديثه المتعددة تدعوا إلى المحافظة على الطرق، ونظافتها، وحقوق الارتفاع بها وعدم تضييقها بالبناء فيها، أو إعاقة المرور بها، وسار الخلفاء والحكام على هذا النحو، ولاحقت آراء الفقهاء وأحكام القضاء حركة العمران والبناء في المدن الإسلامية، التي حكمت تخطيط الشوارع والطرقات، وأوضحت العلاقة بينها وبين التكوينات المعمارية المطلة عليها، بما لا يضر الجار والمار. فصاغت هذه القوانين، هيئة الشوارع والطرق في المدينة، وأثر ذلك في أشكال المباني، المطلة عليها والمتصلة بها، تأثيرا واضحا تشابهت سماته في كل المدن الإسلامية الناشئة، وكذلك في المدن المفتوحة، بما في ذلك بلاد المغرب الإسلامي[1]، فقد اعتمد المسلمون عن الحديث الشريف (اذا اختلف الناس في الطريق فحدها سبعة أذرع).[2]

4- مواد البناء التي استعملت في بناء المدن في المغرب الإسلامي :

تؤدي مواد البناء دورا أساسيا، في تكوين الشكل المعماري، فمن خلالها ومن خلال الأساليب والوسائل والأدوات، المستعملة في توظيف وتنفيذ هذه المواد يؤثر الإنشاء على الشكل المعماري، فلكل مادة خصائص ومميزات تستوجب استعمالات معينة، وتفرض نفسها على الشكل، وكان لمواد البناء أيضا دور في إعطاء الشكل النهائي للفضاء الداخلي، فكبر أو صغر حجم الفضاء المعماري داخل المنشآت الدينية، يكون دائما تبعا للاستعمال العقلاني، للمواد التي توفرها الطبيعة المحلية، وانطلاقا من هذا المبدأ استخدم في البناء المواد التالية [3]:

الحجارة:

تعد المادة الأساسية في تشييد المباني الدينية، نظرا لوجود مقالع ومحاجر عديدة وقريبة، وتقطع الأحجار بأحجام مختلفة من الطبقات الكلسية البيضاء، المنتظمة المكونة للهضاب الصخرية المحيطية بالوادي، وتستخدم هذه المادة دون اللجوء إلى نحتها، ويمكن صقلها صقلا خفيفا،، أثناء تناولها للاستعمال في الميدان وتختار الصفائح الحجرية لتبليط الأرضيات، أو تستعمل في بناء عارضات المداخل كما ذكر البكري أنه بمدينة المنستير

[1] - عبد الستار، المرجع السابق، ص192.

[2]- حديث نبوي شريف، صحيح البخاري، رقم الحديث 48، دار ابن كثير، بيروت، 1423هـ/2002م، ص73.

[3] - رحمة خليل، صفاء خيشة، مسجد عقبة بن نافع ، مذكرة تخرج لنيل شهادة ماستر في التاريخ الوسيط والحديث،قسم العلوم الإنسانية جامعة الشهيد حمة لخضر، الوادي ، سنة 2017/2016م ، ص 74.

البيوت بالحجر[1]، وبمدينة تونس مسجد يعرف بمسجد عبد الله وبقبلي المبنى قصر مبني بالحجارة متقن البناء وفي الجوف منه حائط سخر، وبنيان سوسة كلها بالصخر المحكم .[2]

الخشب:

استغلت النخلة في بناء المنشآت المعمارية، من جذوع وجريد وسعف، ولا تستخدم هذه المادة في البناء، إلا
بعد موت النخلة بطبيعة الحال، وذلك حفاظا على الثروة النخلية والواحة، وتقطع جذوع النخل طوليا إلى جزأين

أو ثلاثة أو أربعة، كما يمكن أن تقطع إلى ألواح، وتستخدم في صنع الأبواب وأما جريد النخل، فيترك في الشمس حتى يجف، ثم يستعمل بسعفه أو بدونه في تشكيل تقويسة العقد والأقبية، وحتى في بناء السقوف المسطحة.[3]

الرخام:

استعمل الرخام بشكل واسع في العمارة في المغرب الإسلامي، لكسوة الجدران، خاصة الأجزاء السفلية منها، فيذكر البكري أن مدينة تونس كلها رخام بديع، لوحان قائمان وثالث معترض عليهما مكان العتبة ومن أمثالهم : دور تونس أبوابها رخام وداخلها سخام [4]، و قال البكري أيضا:" أن رخام قرطاجنة لو اجتمع أهل إفريقية على نقله واستخراج جميعه، ما أمكنهم ذلك لكثرته وهناك قصر يقال له قومش طبقات كثيرة أيضا في سواري رخام مفرطة الكبر والعظم" [5]. .

الآجر و الطوب :

الآجر: يعتبر الآجر من أقدم المواد، وأوسعها انتشارا واستخداما، في بلاد المغرب، وهذا لخفته وتوفر مادة تشكيله، استخدم الأجر على نطاق واسع في بناء العقود والجدران والدعامات والقباب، كما ذكر البكري في حديثه عن قبر مادغوس ومدينة رقادة : "وهو قبر مثل الجبل الضخم مبني بآجر رقيق ... وبمدينة رقادة جامع له صومعة مستديرة مبنية بالآجر والعمد سبع طبقات لم يبنى أحكم منها"[6]

---

[1] - البكري، المسالك، ص 695.
[2] - نفسه، ص 689.
[3] - خليل، وخيشة، المرجع السابق، ص 75 .
[4] - البكري، المسالك، ص 697.
[5] - نفسه، ص702.
[6] - نفسه، ص702.

الطوب: هي مادة بناء طبيعية، وهي نوع من أنواع المواد المستخدمة في البناء والتشييد عادة لها شكل متوازي السطوح، وهي مصنوعة من الصلصال والرمل والماء، مع إضافة نسبة قليلة من التبن (القش المكسر والناعم)[1]، استعملت في بناء الجدران في المغرب الإسلامي الوسيط، حيث ذكر البكري أنه استعمل في بناء سور مدينة طبنة[2].

في الأخير وبعد دراسة "آليات تخطيط وعمارة المدن في المغرب الإسلامي"، يمكن القول أنه كان للفتح تأثير كبير على بنية المدينة في المغرب، حيث ظهرت العديد من المدن واندثار أخرى، واعتمدوا في تخطيط المدن على عدة شروط، منها طيب هواء المكان، وقربها من المياه، وكذا تحصينها، وقربها من طرق التجارة، وظهرت منشئات جديدة بالمنطقة، ميزت العمارة الإسلامية، كالمساجد والأربطة، والحصون وكذا تغيير تخطيط الشوارع وفق العقيدة الإسلامية، واستعملت العديد من المواد التي توفرت بالمنطقة حين ذاك من خشب وطين وطوب وآجر.

[1] - خليل وخيشة، المرجع السابق، ص74.
[2] - البكري ، نفسه، ص 711.

مسح لأهم مدن المغرب الإسلامي الواردة في مصنف البكري

1- المدن في المغرب الأدنى

مدينة القيروان
مدينة تونس
مدينة المهدية
مدينة قرطاجنة

2- المدن في المغرب الأوسط

مدينة تلمسان
مدينة تيهرت
مدينة آشير
مدينة وهران
مدينة طبنة
مدينة مسيلة
مدينة جزائر بني مزغنى
مدينة بسكرة

3- المدن في المغرب الأقصى:

مدينة سجلماسة
مدينة سبتة
مدينة طنجة
مدينة فاس
مدينة نكور
مدينة أغمات

في النصف الثاني من القرن 5ه/11م، رسم لنا البكري حدود بلاد المغرب، أثناء حديثه عن إفريقية التي تعني بالنسبة له بلاد المغرب، حيث يقول في معرض هذا الحديث:" وحد إفريقية طولها من برقة شرقا إلى طنجة الخضراء غربا، واسم طنجة موريطانية، وعرضها من البحر إلى الرمال التي هي أول بلاد السودان، وهي جبال عظيمة، ورمال عظيمة متصلة بالشرق".

ومن المعلوم أن بلاد المغرب وحدة جغرافية متماسكة الأطراف، إلا أن الضرورة تدعو إلى تقسيم هذه المنطقة حسب الظروف إضافة إلى النزاعات، التي كانت من أهم الأسباب، في تغيرات المجال الجغرافي للمنطقة، لذلك قسمت بلاد المغرب إلى ثلاث أقسام (المغرب الأدنى، المغرب الأوسط، المغرب الأقصى) حسب قربها وبعدها عن مركز الخلافة في المشرق، واعتمدنا في ذكرنا للمدن في مبحثنا على هذا التقسيم، وفيه سنتحدث عن أهم المدن في المغرب الإسلامي، التي جاء على ذكرها البكري في مصنفه " المغرب في ذكر إفريقية والمغرب" وهو جزء من كتابه "المسالك والممالك"، سنتطرق إلى اختطاط وعمارة هذه المدن[1]، وسنركز على كتاب البكري كمصدر أساسي في مبحثنا هذا، مع الاستعانة ببعض المصادر المعاصرة له.

1- المدن في المغرب الأدنى:

وتسمى أيضا بإفريقية، ويحدد مجالها الجغرافي من برقة أو طرابلس غربي مصر، إلى الأجزاء الشرقية للمغرب الأوسط (الجزائر حاليا)، وكانت الجناح الشرقي لبلاد المغرب وكانت قاعدتها القيروان[2].

مدينة القيروان :

إن تأسيس مدينة القيروان كان لهدف ديني عسكري حربي، حيث كانت مركزا حربيا ومدينة للمجاهدين المرابطين وأسرهم، وجامعة لتعليم لغة القرآن، ومبادئ دين الإسلام، فمنها انتشر الإسلام في كامل بلاد المغرب وكذا الأندلس، ويعود تأسيسها إلى الصحابي عقبة بن نافع الفهري سنة 50ه/670م، عند دخوله إلى إفريقية حيث كان يخوض العديد من الحملات، ضد الروم والبربر، لذلك كان لزاما عليه إنشاء قاعدة تكون حصنا له ولجنده[3].

فاتفق الجميع على هذا، فأشار عليه بعض أصحابه، أن تكون القاعدة قريبة من البحر، لكنه رفض خوفا من غارات الروم، كما رفض أيضا أن تكون على الداخل خوفا من حركات

---

[1]-أنظر الملحق رقم 6.

[2]- سهام طيبي، المعادن في بلاد المغرب الإسلامي الوسيط، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر تخصص تاريخ الوسيط الإسلامي، جامعة 8 ماي 1945، قالمة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، 2016-2017 م، ص14.

[3]- محمد محمد زيتون، القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية، دار المنار، القاهرة، ط، 1988م، ص ص 72- 73.

البربر، وانتهى الأمر بقيام القاعدة الإسلامية بين الساحل والداخل، ويؤكد ذلك قول البكري :" ...ومدينة القيروان في بساط من الأرض مديد، في الجوف منها بحر تونس وفي الشرق بحر سوسة والمهدية وفي القبلة بحر سفاقس وقابس وأقربها منها البحر الشرقي بينها وبينه مسيرة يوم وبينها وبين الجبل مسيرة يوم وبينها وبين سواد الزيتون المعروف بالساحل مسيرة يوم"[1] .

إذ يستخلص أن اختيار مكان اختطاط القيروان كان للأسباب التالية:

- البعد عن الساحل حتى لا تتعرض للأساطيل البيزنطيين .

- القرب من البادية لتباشر نشر الإسلام بين البربر.

- تأمين إمدادات الجيش وحماية وسائل المواصلات وهي الإبل[2].

حيث نلاحظ أن النويري يتحدث عن أثر قرب مدينة القيروان من البربر، مما أدى إلى انقياد الكثير منهم للإسلام، ويعبر عن ذلك النداء الذي ناداه عقبة عند اختطاط القيروان، والذي أجمعت عليه العديد من المصادر[3]:" أيتها الحيات والسباع، نحن أصحاب رسول الله، ارحلوا عنا، إنا نازلون، ومن وجدناه بعد ذلك قتلناه فنظر الناس في ذلك اليوم إلى السباع، تحمل أشبالها، والذئاب تحمل أجراءها، والحيات تحمل أولادها، فأسلم كثير من البربر" [4].

كما كانت بنايات القيروان بسيطة، واستعمل في بناءها القرميد والآجر المطبوخ، لتوفر الطين بالمكان، كما أقام عقبة للمدينة سورا من طين، حيث يتحدث البكري عنه ويقول:"... وكان للقيروان في القديم سور طوب سعته عشر أذرع بناه محمد بن الأشعث بن عقبة الخزاعي سنة 144ه/761م ، وكان في قبليه باب سوى الأربعة وهو بين القبلة والمغرب، وبين القبلة والمشرق باب أبي الربيع وفي شرقيه باب عبد الله وباب نافع، وفي جوفيه باب تونس، وفي غربيه باب أصرم وباب سلم، فهدم هذا السور زيادة الله بن إبراهيم المعروف بالكبير سنة 209هـ/824م، تحدث عن سبب هدم الصور، ثم بناه المعز بن باديس بن منصور الصنهاجي سنة 444هـ/1052م، وجعل السور مما يلي صبرة كالفصيل، حائطان متصلان إلى مدينة صبرة، وبينهما نحو نصف ميل، وللمدينة اليوم أربعة عشر بابا منها

[1] - البكري، المسالك، ص675 .

[2] - محمد زيتون، المرجع السابق، ص75.

[3] - الحموي، المصدر السابق، ج7، 193.

[4] - شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، تح عبد المجيد ترحين، ج28، دار الكتب العلمية، بيروت، ط، د.ت ص 142-143.

المذكورة وباب النخل والباب الحديث، وللفصيل بابان وباب الطراز وباب القلالين وباب أبي الربيع وباب سحنون الفقيه"[1] .

مدينة تونس:

تعد تونس ثاني قاعدة إسلامية بالمغرب الأدنى بعد القيروان، وهي مدينة قديمة كانت تسمى "أرشيش" ويقال لبحرها ومرساها "رادس"، أسسها حسان بن النعمان بعد تخريبه لقرطاجنة ، وكان الهدف من تأسيسه لهذه المدينة تأمين قاعدة بحرية تقوم بنفس الدور الذي لعبته قرطاجنة[2] .

واستطاع حسان بن النعمان، أن يحول هذه المنطقة، من قرية صغيرة، إلى مدينة كبيرة، حيث طلب من عبد الملك بن مروان، أن يمده بعمال من أقباط من مصر، وشرع في بنائها، كما قام ببناء مسجد ودار للأمارة وثكنات للجند،حتى تحولت تونس في عهده إلى قاعدة إسلامية كبرى، تبعد مدينة تونس عن القيروان 100 ميلودورها 24 ألف ذراع، بنى عبيد الله بن الحبحاب[3] جامعها ودار صناعتها[4]، بشرقيها بحيرة كبيرة دورها 24 ميلا، ومدينة تونس في سفح جبل يعرف بجبل أم عمرو، ويدور بمدينتها خندق حصين[5]، وبنيانها كله رخام إذ يقول عنها البكري:"مدينة تونس كلها رخام بديع لوحان قائمان وثالث معترض عليها مكان العتبة"[6].

ولمدينة تونس خمسة أبواب يعددها لنا البكري في وصفه للمدينة حيث يقول :" لها خمسة أبواب ،باب الجزيرة قبلي ينسب إلى جزيرة شريك، ويخرج منه إلى القيروان، ويقابله الجبل المعروف بجبل التوبة، في أعلاه قصر مبني مشرف على البحر، وبشرقي هذا القصر غار منحني الباب يسمى المعشوق، وبغربي هذا الجبل جبل يعرف بجبل الصيادة، فيه قرى كثيرة الزيتون والثمار والمزارع، وفي هذا الجبل سبعة مواجل للماء أقباء على غرار واحد وبغربي هذا الجبل أيضا أشراف ومزارع متصلة بموضع يعرف بالملعب، فيه قصر لبني الأغلب قد غرس بجميع الثمار وأصناف الرياحين، وبشرقي مدينة تونس باب قرطاجنة، دونه داخل الخندق بساتين مثيرة وآبار بسوان تعرف سواني المرج، وباب السقائين، جوفي نسب إلى السقائين، لأن بئرا تعرف ببئر أبي القفار تقابله، وهي بئر كبيرة عزيرة عذبة الماء نميرة، وهناك قصور لبني الأغلب، وبساتين فيها أصناف الثمار والرياحين، ويتصل

[1] - البكري، المسالك، ص ص 675- 676 .

[2] - نفسه ، ص 693.

[3] - من الرؤساء الخطباء، كان مولى بني سلول نشأ كاتبا، وولي مصر زمنا، ثم نقله هشام بن عبد الملك إلى إفريقية سنة 116هـ، وسار إليها وضبط أمورها وعزل سنة 123هـ، أنظر الزركلي، مصدر سابق، ج4، ص115.

[4] - البكري، نفسه، ص693.

[5] - البكري، المسالك، ص 693.

[6] - نفسه، ص 695.

بها جبل أجرد في أعلاه آثار بنيان، وباب أرطة غربي وتجاوره مقبرة تعرف بمقبرة سوق الأحد، ودون الباب من داخل الخندق غدير كبير يعرف بخندق الفحامين، وربض المرضى خارج عن المدينة، وبقبلي المرضى ملاحة كبيرة، منها ملحهم، وملح من يجاورهم، وجامع مدينة تونس رفيع البناء مطل على البحر، ينظر الجالس فيه إلى جميع جواريه، ويرقى إلى الجامع من جهة الشرق، على اثنتي عشرة درجة ، وبها أسواق كثيرة ومتاجر عجيبة، وبها خمس عشر حماما وفنادق كثيرة رفيعة، وعضادات أبواب دور" [1].

مدينة المهدية:

من أهم مدن المغرب الأدنى، تأسست في عهد الدولة العبيدية، منسوبة إلى عبيد الله المهدي(ت.322ه/934م)، الذي بناها على ما ذكر في التاريخ، فقد خرج بنفسه لاختيار الموضع، فمر على تونس وقرطاجنة وسفاقس والمنستير، واختار مكانا بينها، واختلف المؤرخون في السنة التي وضع فيها عبيد الله المهدي أساس مدينته، فيرى البكري (ت. 483ه/1090م) أن البناء قد تم سنة 300ه/912م، واكتمل سورها سنة 305ه/917م، وانتقل إليها سنة 308ه/920م [2]، ويتفق معه في ذلك النويري (ت.115ه/ 733م)[3]، والقزويني (ت. 682ه/1283م)[4].

ويجدر بالذكر أنه لم يحبذ فكرة الإقامة في رقادة، عاصمة الأغالبة سابقا والقيروان ، إذ كانتا لا تصلحان حسبه، لتحقيق الأغراض السياسية والعسكرية والمذهبية المنشودة، لأنها كانت تزخر ببقايا أنصار الأغالبة، المعاديين له ولدولته[5]، لذلك تطلع لبناء عاصمة مفتوحة على البحر، حتى تكون قاعدة لتنظيم حملاته، للاستيلاء على مصر، وبلا المغرب والأندلس، قصد التحصين بها على أهل بنيه، ومن أجل ذلك بنى المهدية، وحصنها واستقر بها وهو يقول: "كل ذلك إنما أعددناه المقام ساعة من النهار وكان يقصد بذلك ظهور الدجال مخلد كيداد".[6]

---

[1] -.نفسه، ص ص 694- 699.

[2] - البكري، المسالك، ص683.

[3] - النويري، المصدر السابق، ج28، ص69.

[4] - القزويني، المصدر السابق، ص276.

[5] - حسن ابراهيم حسن، طه أحمد شرف، عبيد الله المهدي إمام الشيعة الإسماعيلية ومؤسس الدولة الفاطمية في بلاد المغرب، مطبعة الشبكش، مصر، ط، 1947م، ص204.

[6] - القاضي النعان بن محمد، المجالس والمسايرات، تح الحبيب الفقي وآخرون، دار المنتظر، بيروت، ط، 1996م، ص 542 .

وسبب آخر، تمثل في احتياط عبيد الله المهدي من الكتاميين الذين سعوا لخلعه بسبب قتله لأبي عبد الله الشيعي،[1] حيث قال البكري: " و بنيان عبيد الله للمهدية قيام (أبي عبد الله) عليه وما حاولوه من خلعه وقتل أهل القيروان رجال كتامة"[2].

عمد المهدي في بناءه للمهدية، إلى إيجاد قنوات للمياه، فاستحدث بها العديد من المواجل،قال البكري أن عددها 360 ماجل:" ... وفي المهدية من المواجل العظام 360 غير ما يجري إليها، والماء الجاري بالمهدية جلبه عبيد الله، من قرية مناتش، ويصب في صهريج داخل المهدية عند جامعها، ويرفع من الصهريج إلى القصر بالدواليب، وكذلك يسقى أيضا بقرب منانش من الآبار بالدواليب، ويصب في محبس يجري منه في تلك القناة، وهي مرفأ السفن الإسكندرية والشام وصقلية والأندلس"[3] .

وأقام بها العديد من الأسواق، والأبنية والقصور، فيذكر البكري أيضا عن المهدية :" أنه بينها و بين القيروان 60 ميلا، والبحر قد أحاط بها من ثلاث جهاتها وإنما يدخل إليها من الجانب الغربي، ولها ريض كبير يعرف يزويلة، فيه الأسواق والحمام ومساكن أهلها ، وبني على الريض المعز بن باديس سورا يحيط به، وطولها اليوم نحو ميلين، وعرضها يضيق ويتسع، وجميع بنيانها بالصخر ولمدينتها بابا حديد، لا خشب فيهما وزنة كل باب ألف قنطار، وطوله ثلاثون شبرًا في كل مسمار، من مساميرها ستة أرطال ... وغيرها ومرساها منظور في حجر صلد يسمع 30 مركبا، على طرفي المرسى برجان بينهما سلسلة من حديد، فإذا أريد إدخال سفينة فيه أرسل حراس البرجين أحد طرفي السلسلة حتى تدخل السفينة، ثم مدوها كما كانت بعد ذلك تحصينا، لكي لا تطرقها مراكب الروم وعرض المدخل إلى المهدية من القبلة إلى الجوف قدر غلوة، وردم عبيد الله من البحر مثل ذلك وأدخله في المهدية فاتسع الموضع، وفيه ستة عشر برجاً ثمانية منها في السور الأول وثمانية في الزيادة، منها برج أبي الوزان النحوي وبرج عثمان وبرج عيسى وبرج الدمان، والجامع ودار البحر ودار المحاسبات فيما ردم من البحر وغير ذلك من المنازل والجامع[4] سبع بلاطات متقن البناء حسنه،[5] وكان لها أرياض كثيرة آهلة عامرة أقربها إليها ريض زويلة فيه الأسواق، والحمامات وريض الحمى، كان مسكنا لأجناد إفريقية، من العرب والبربر، ولم تزل دار ملك لهم إلى أن ولي الأمر إسماعيل بن القاسم، سنة 334ه/946م فسار إلى

[1] -البكري، نفسه، ص683.
[2] - نفسه، ص683.
[3] - نفسه، ص 683.
[4] - أنظر الملحق رقم 7.
[5] - البكري، المسالك، ص683.

القيروان محارباً لأبي يزيد واتخذ مدينة صبرة واستوطنها بعده ابنه معد وخلت أكثر أرباض المهدية وتهدمت"[1].

مدينة قرطاجنة:

مدينة قرطاجنة مدينة بالمغرب الأدنى،قديمة أزلية، ويقول عن موقعها البكري:"..وهي على شاطئ البحر يصيب سورها أمواجه، وكان تكسير سورها أربعة عشر ألف ذراع"[2].

أورد البكري عدة روايات عن تأسيس مدينة قرطاجنة ،أولها أنه يقال أن الذي بنى قرطاجنة ديدون الملك زمن داود عليه السلام، و ويقال إن بين بناء قرطاجنة، وبناء مدينة رومية 72 سنة[3].

وذكر البكري أيضا:" أبو جعفر أحمد بن إبراهيم المتطبب القيرواني في مغازي إفريقية، أن موسى بن نصير لما دخل الأندلس فأتى على ما أراد منها قال لهم : دلوني على أمن شيخ فيكم، فأتي بشيخ قد وقعت حاجباه عن عينيه من الكبر ، فقال له موسى : من أين أنت يا شيخ ؟ قال : من قرطاجنة إفريقية فقال له موسى : فما الذي أصارك هنا، وكيف كان خبر قرطاجنة، قال له: أتعرف من بنى قرطاجنة قال له الشيخ : بناها قوم من بقية العادين الذين هلك قومهم بالريح، فبقيت بعدهم خراباً ألف سنة حتى بناها، وجلب إليها الماء العذب من دلالا فحفر له في الجبال، وبنى القناطر في بطون الأودية، حتى استوي جري الماء فيها، بعد عمل أربعين سنة . قال : فلما حفر أساس تلك القناطر، أصيب فيه حجر عليه كتابة، فإذا فيه: إن هذه المديمنة ليست تخرب ، إلا إذا ظهر فيها الملح، قال الشيخ : فبينما نحن ذات يوم نجري مجرى قرطاجنة جلوس إذا ظهر بملح على حجر، فعند ذلك رحلت إلى ها هنا"[4]

ويصف البكري قصور وسقاية قرطاجنة:" وبقرطاجنة قصران من رخام، يعرفان بالأختين ليس فيهما حجر سواه محكم البناء رخامه كله مدخل بعضه في بعض ، وبهذين القصر منبع ماء مجلوب، يأتي من قبل الجوف لا يعرف من أين منبعثه، يصب في البحر، وعليه نواعير لقرى قرطاجنة، وبها سواري قائمة طول الظاهر فوق الأرض منها أربعون فراناً ، قد عقد عليه قبو من حجر النشفة ، وهو الحجر الخفيف الذي يطفو فوق الماء، وبها

[1]- أنظر الملحق رقم 8.
[2] - البكري، نفسه، ص 699.
[3] - نفسه، ص699.
[4]- البكري، المسالك، ص701.

قبة لا يلحقها الرامي بأشدّ نزع السهام علوا وسموا ، حولها سطح مفروش بالفسيفساء خمسون ذراعاً في مثلها"[1].

ويقول أيضا عن قصورها وتفاصيل بناياتها :"... وطبقات كثيرة مطل على البحر، في غربيه قصر يعرف بالطياطر، وهو الذي فيه دار الملعب المذكورة، وقصر يقال له قومش، طبقات كثيرة أيضًا في سواري رخام، مفرطة الكبر والعظم، وهو كثير الأبواب والتراويح وهو أيضًا طبقات، على كل باب صورة حيوان رخام، وصور جميع الصناع ، وقصر يقال له قومش كثيرة أيضًا في سواري رخام مفرطة الكبر والعظم، يتربع على رأس السارية منها 12 رجلاً، وبينهم سفرة طعام أو شراب، وهي مشطبة كالثلج بياضا والمهاة صفاء ، بعض تلك السواري قائمة وبعضها ساقطة وبها قبو عظيم، فيه سبعة مواجل للماء كبار، تعرف بمواجل الشياطين فيها ماء قديم، لا يدرى متى دخلها ويقرب قصر قومش، أقباء بعضها فوق بعض، مظلم مهيب الدخول فيه جثث الموتى على حالهم إلى اليوم، فإذا مسوا تلاشوا، وداخل المدينة مبنى كانت المراكب تدخلها بشرعها ، وهي اليوم ملاحة عليها قصر ورباط يعرف ببرج أبي سلمان وفي وسط المدينة صهريج كبير"[2].

2- المدن بالمغرب الأوسط:

يعتبر المغرب الأوسط قسما من أقسام المغرب الإسلامي وقد اختلف الجغرافيون في ضبط حدوده خاصة الشرقية منها[3] ويعد البكري أول من استخدم مصطلح المغرب الأوسط ويقول أن قاعدته تلمسان[4].

مدينة تلمسان:

تلمسان مدينة أزلية ضاربة في القدم، حسب ما ذكره الجغرافيون والمؤرخون في مصنفاتهم، حيث وصفها البكري قائلا:" وفيها آثار للأول قديمة ، وبها بقية من النصارى إلى وقتنا هذا ولهم بها كنيسة معمورة"[5] وأكد ذلك الإدريسي وغيره بقوله "مدينة أزلية"، ويعنى أنها قديمة جدا وهذا ما يجعل تاريخ تأسيسها صعب التحديد[6] وأكد الحميري أيضا على

---

[1] - نفسه، ص 702.

[2] -البكري، المسالك، ص702.

[3] - عودة بناي و صبيحة تورديات، المدن الساحلية ومراسيها بالمغرب الأوسط دراسة طوبغرافيا للمدن الساحلية بالمغرب الأوسط ودورها الاقتصادي والعسكري بين القرنين 4-7ه / 11-14 م، مذكرة تخرج لنسيل شهادة الماستر تخصص المغرب الاسلامي الوسيط، جامعة أكلي محند أو لحاج، البويرة ، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، 2014-2015م، ص13.

[4] - البكري، نفسه، ص 671.

[5] - نفسه، ص 745.

[6] - عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودي الحسني الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق في إختراق الآفاق، مج1، مكتبة الثقافة الدينية، د.ط، د.ت.ن، ص 248.

قدمها، فقال: "ومدينة تلمسان مدينة عظيمة قديمة فيها آثار للأول كثيرة" تدل على أنها كانت مملكة للأمم السالفة[1]، ورجح المؤرخون إلى أن تاريخ تأسيسها يرجع إلى عهود ما قبل التاريخ وقدمها يتجلى في تعدد الأسماء التي أطلقت عليها عبر العصور مما يطرح إشكالية موقعها ويدعو إلى التساؤل عن احتمال تعدد المواقع خلال العصر القديم، ولاسيما إذا أخذنا بعين الاعتبار تعدد الفئات السكانية بربر، فينيقيين، رومان، وندال، بيزنطيين، وأفارقة، وتعدد الديانات من وثنية ومسيحية وغير ذلك[2].

يقول البكري أيضا عن مدينة تلمسان أنها :" ... مدينة مسورة في سفح جبل شجره الجوز ، ولها خمسة أبواب ثلاثة منها القبلة : باب الحمام وباب وهب وباب الخوخة ، وفي الشرق باب العقبة وفي الغرب باب أبي قرة ... وكثيرا ما يوجد الركاز في تلك الآثار. وكان الأول قد جلبوا إليها ماء من عيون تسمى لوربط بينها وبين المدينة ستة أميال. وهذه المدينة تلمسان قاعدة المغرب الأوسط لها أسواق ومساجد ومسجد جامع وأشجار وأنهار عليها الطواحين ، وهو نهر سطفسيف، دار مملكة زناته وموسطة قبائل البربر ومقصد لتجار الآفاق، ونزلها محمد بن سلمان بن عبد الله بن حسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، ومن ولده عيسى أبو العيش بن إدريس بن محمد بن سلمان الذي بنى جراوة ، وكان أميرها، وبها توفي ولم تزل تلمسان دارا للعلماء والمحدثين وحملة الرأي على مذهب مالكوفي الجنوب من تلمسان قلعة ابن الجاهل وهي قلعة منيعة كثيرة الثمار والأنهار ، ويتصل بها جبل تارني وهو وما يليه جبال معمورة"[3] .

ويعلق ابن خلدون لى تنامي مدينة تلمسان، بالقول:" ولم يزل عمران تلمسان يتزايد، وخطتها تتسع الصروح بها بالآجر والفهر، تعلى وتشاد إلى أن نزل آل زيان، واتخذوها دارا لملكهم" [4]

مدينة تيهرت:

تعد تيهرت من أهم مدن المغرب الأوسط، بناها الإمام الرستمي الأول، عبد الرحمان بن رستم، ويعود سبب بناءه لتيهرت أن جماعة المسلمين اتفقوا أن ينتخبوا موضعا يبنون فيه مدينة تكون حرزا وحصنا للإسلام، فأرسلوا الروافد في الأرض، فرجعوا فدلوهم على تاهرت، اتفق جمهور المسلمين مع أهل تاهرت القديمة على أشياء معلومة يأخذونها من

[1] - محمد بن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح إحسان حقي، مكتبة لبنان، بيروت، ط2، 1984م، ص135.

[2] - طيب بوجمعة نعيمة، من حواضر المغرب الأوسط: مدينة تلمسان، مجلة القرطاس، العدد7، جانفي 2018م، ص102.

[3] - البكري، المسالك، ص ص 745-746 .

[4] - عبد الرحمان بن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج7، مر. سهيل زكريا، دار الفكر، ط، 2001م، ص 105.

غلتها، وبذلك رأى عبد الرحمان بن رستم، ضرورة لتأسيس قاعدة لملكه بعدما فر من القيروان إلى أرض بلاد المغرب الأوسط، سنة 144ه/761م[1].

اختلف المؤرخون في تحديد سنة البدء في بناءها ورجح إبراهيم بحاز في دراسته عن الدولة الرستمية، إلى أن تاريخ الشروع في بناء تيهرت كان خلال سنتي 155ه/772م و 160ه/776م [2].

وكان بناء المدينة في موضع تيهرت، لخصوبة الأراضي، ونقاء الهواء، ووفرة المياه، وكذا حصانته ومناعته من الأعداء، حيث احترم في اختيار موقعها كل شروط اختطاط المدن، التي ذكرت في المبحث الثاني من دراستنا هذه إذ كان هذا الموضع على سفح جبل جزول، على مسافة خمسة أميال من تيهرت القديمة حيث قال البكري:" ... وعلى خمسة أميال منها تيهرت القديمة ، وهي حصن لبرقجانة، وهو في شرقي الحديثة، وهي في سفح جبل يقال له جزول، وهي على نهر يأتيها من جهة القبلة يسمى مينة وهو في قبليها، ويقال إنهم لما أرادوا بناء تيهرت، كانوا يبنون النهار، فإذا جن الليل وأصبحوا وجدوا بنيانهم قد تهدم، فبنوا حينئذ تيهرت السفلى وهي الحديثة وقد ذكرنا أن بشرفيها حصنا لبرقجانة وهو تيهرت القديمة " [3]

كما يذكر البكري تيهرت و يصفها قائلا:" ..مسورة لها ثلاثة أبواب، باب الصفاء وباب المنازل، وباب الأندلس وباب المطاحن وغيرها... ولها قصبة مشرفة على السوق تسمى المعصومة ،... وبقبليها لواتة وهوارة في قرارات وبغربيها زواغة وبجوفيها مطماطة وزناتة ومكناسة وبها أسواق عامرة وحمامات كثيرة يسمى منها اثني عشر حماماً ، وحواليها من البربر أمم كثيرة"[4]

عرفت تيهرت ازدهارا كبير في عهد الدولة الرستمية، حيث عرفت خلاله الرخاء الاقتصادي والتوسع العمراني خاصة بعدما قصدتها الوفود أفرادا كانت أو قبائل، وما كان لهم من دور في تعمير المدينة.[5]

---

[1]- البشير بوقاعدة، خراب المدن بالمغرب الأوسط والأدنى بين 296هـ/909م- 547هـ/ 1152م، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المشرق والمغرب الإسلامي، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، الجزائر، 2012-2013، ص 73.

[2]- إبراهيم بحاز، الدولة الرستمية 160-296هـ/777-909م ، جمعية التراث، د.م.ن، ط2، 1414م/1993م، ص 84.

[3]- البكري، المسالك، ص 733.

[4]- نفسه، ص ص 734- 736.

[5]- بوقاعدة، المرجع السابق، ص77.

مدينة آشير:

مدينة آشير مدينة جليلة حصينة[1]، بناها زيري بن مناد الصنهاجي[2]، لما تولى زعامة قبيلة صنهاجة ، التي كانت في حاجة إلى قاعدة تركز فيها نفوذها، فإن الانتصار في معركة، سرعان ما يزول أثره السياسي، بمجرد ما ينتهي تقسيم الغنائم والأسلاب إذ كان لابد من وجود كرسي للحكم، ونواة جيش، أو حرس دائم، وما يتبع ذلك من أسباب الأمن والاستقرار الاجتماعي وأمور من شأنها أن تضمن استقرار أثر الانتصارات العسكرية، وتعزز شوكة الزعامة القبلية، فقرر زيري بناء مدينة أشير في أيام القائم بأمر الله الفاطمية، يقول النويري (ت.733ه/1332م) عن مدينة أشير، أنه بعدما رأى أتباع زيري، أن أرضهم ضاقت بهم طلبوا منه أن يبحث عن مكان آخر، يكونون في راحة فيه، فأتى إلى موضع أشير[3]، وكانت به عدة عيون، وخال من السكان، ولما نظر زيري إلى موضعها قال لأصحابه: هذا موضعكم الذي يصلح أن تسكنوه، وعزم على بناءها فأمر بإحضار عدد كبير من النجارين والبنائين من المسيلة وحمزة وطلب من الخليفة الفاطمي القائم بأمر الله أن يبعث له مهندسا كانت مهارته تفوق مهارة سائر مهندسي إفريقية وأعانه بعدة كثيرة من حديد وغيره.[4]

وعن تاريخ اختطاط المدينة، انقسم بشأنه الرحالة والمؤرخون إلى فريقين: فريق ذكر بأن أشير شيدت سنة 324هـ/ 935م ومنهم النويري، وفريق آخر أدرج هذا الحدث ضمن وقائع سنة 364ه/974-975م، لكن التاريخ الذي ذكره ابن الأثير.[5]

وبعد أن تم بناء المدينة، جاءت مرحلة تعميرها وإسكانها، حيث عرفت هذه المنطقة تحولا نتيجة هذه الحالة السياسية التي أدت إلى تأسيسها، فقد اكتضت بالفقهاء والأدباء وأهل الحرف والتجار، من مختلف المناطق المجاورة لها في المغرب الأوسط "ثم خرج زيري إلى طبنة والمسيلة وحمزة ، فنقل منها وجوه الناس إلى مدينة أشير "[6]، وسمع الناس بهذه المدينة

---

[1] - أنظر الملحق رقم9.

[2] - هو زيري بن مناد الحميري الصنهاجي جد المعز بن باديس، أول من ملك من بيتهم، وهو الذي بنى أشير وحصلها في أيام خروج أبي يزيد بن مخلد الخارجي كان حسن السيرة قام السياسة شجاعا صارما، توفي في رمضان من سنة 360هـ، وكانت مدة ملكه 26 سنة ، انظر النويري، المصدر السابق، ج24، ص 87؛ فايزة طيهار المعز بن باديس الصنهاجي وأدواره المضادة للدولة الفاطمية العبيدية في المغرب الإسلامي ق5هـ/11م، مذكرة ماستر، تاريخ الغرب الإسلامي قسم التاريخ جامعة محمد بوضياف المسيلة، 2019/2018،ص ص 13- 15

[3] - أنظر الملحق رقم 10.

[4]- النويري، المصدر السابق، ج24، ص88.

[5]- إيمان زيان، مدينة أشير بين النشأة والتطور 324ه/935م، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر القرون الوسطى، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2017-2018م، ص 23.

[6]- النويري، المرجع السابق، ج24، ص ص88 -89 .

ممن كانوا يسكنون المناطق المحاذية لها من مختلف نواحي المغرب من تجار وصناع، حيث كان الناس يتعاملون بالمقايضة ولم يكن الناس إذاك يتعاملون بالذهب والفضة، وإنما بالبعير والبقر والشاة"[1].

ولاحتياج سكان المدينة إلى النقود كوسيلة للتعامل التجاري، عمد زيري إلى ضرب السكة "[2]، فضرب زيري السكة، وأكثر استعمال هذه النقود كعطاء للجيوش، وهبات لأهل العلم والمعرفة، فكثرت الدنانير والدراهم في المدينة، وساهمت في ليونة التعامل الاقتصادي، وفي هذه المرحلة بالذات بدأ زيري يضع الأسس العامة لدولته، فنظم الجيش وعمل على إقرار الأمن والطمأنينة، وبهذا أخرج قبيلة صنهاجة، من مرحلة التنظيم القبلي إلى مرحلة الدولة، ونجح في ذلك نجاحا كبيرا[3]، كان هذا التحول الذي نشر في أهل صنهاجة طمأنينة في أنفسهم، جعلهم يتوجهون إلى نشاط الحرث والزراعة، وعمل على حمايتهم من خطر زناتة "اطمأنت نفوس أهل البادية للحرث والزراعة، وصانهم زيري مما كان ينالهم من زناتة"[4].

و يتحدث البكري عن حصانة مدينة آشير قائلا:"... وهي جليلة حصينة، يذكر أنه ليس في تلك الأقطار أحصن منها، ولا أبعد منها، ولا مراما، ولا يوصل إلى شيء منها بقتال إلا من موضع يحميه عشرة رجال

وهو في شرقيها الذي ينفذ إلى عين مسعود، وسائر نواحيها تزل عنها العيون فكيف الأقدام وهي مع ذلك بين جبال شامخة محيطة بها دائرة عليها، "[5]، ويقول أيضا أنه:" داخل مدينتها عينان ترتان، لا يبلغ لها غور ولا يدرك قعر ، إحداهما تعرف بعين سلمان والأخرى بعين تالانتيري والذي بنى سورها بلجين الله يوسف بن زيري بن مناد الصنهاجي، سنة 367ه/978م، وخربها يوسف بن حماد بن زيري، واستباح أموالها وفضح حرمها وذلك بعد 440ه/1048م، ثم تراجع الناس إليها بعد 455ه/1063م"[6].

مدينة وهران:

مدينة وهران حصينة، ذات مياه سائحة، وأرحاء ماء وبساتين ، ولها مسجد جامع، تقع في المغرب الأوسط، وأرجع البكري تاريخ تأسيسها ل محمد بن أبي عون ومحمد بن عبدون

[1]- النوويري ، المصدر السابق ، ج24، ص89.

[2]-نفسه، ج24، ص 89 .

[3]- وليد يسعد، حياة يسعد، تأسيس مدن المغرب الأوسط (مابين القرن4-6 هجري/ 10-12ميلادي) من خلال مصنف نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري 667ه-733ه/1298-1333م،مذكرة مقدمة للحصول علة شهادة الماستر تخصص تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط، جامعة يحي فارس بالمدية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، 2019-2020م، ص 57.

[4]- النويري، نفسه، ج24، ص89.

[5]- البكري، المسالك، ص 725.

[6]- البكري، المسالك، ص725.

وجماعة من الأندلسيين البحرين، الذين ينتجعون مرسى وهران، باتفاق منهم مع نفزة وبني مسقن، وهم من أزداجة ، وكانوا أصحاب القرشي سنة 290ه/902م ، فاستوطنوها 7 أعوام [1].

ويصف ابن حوقل تحصين مدينة وهران قائلا:"... كانت محصنة بسور يحيط بها من تراب متقن" ، واعتبرت مرسى بحريا هاما في غاية السلامة والصوان من كل ريح، بحيث يبعد عن المدينة ميلين، ترسوا فيه السفن والمراكب الكبار[2].

مدينة طبنة :

هي مدينة كبيرة، في المغرب الأوسط، يقال إن الذي بناها أبو جعفر عمر بن حفص المهلي المعروف، بهازر مرد ، يسكنها العرب والعجم بينهما الاختلاف والحرب ، ويسكن حولها بنو زفراح[3]، افتتحها موسى بن نصير، فبلغ سيرها عشرين ألفا و عرب ملكهم كسيلة، وسورها مبني بالطوب وبها قصر وهرب وأرباض ، وتحدث البكري عن سقايتها قائلا:".. وداخل القصر جامع وصهريج كبير يقع فيه نهرها ومنه تسقى بساتينها".[4]

مثلت مدينة طبنة خلال عهد الولاة مركزا أساسيا لمقاومة الخارجين والثائرين على السلطة الشرعية بالقيروان ونظرا لأهميتها العسكرية فقد كانت مسرحا لعديد منالأحداث التي عرفتها منطقة المغرب في عهد حكم الولاة، أما في العهد الأغلبي اكتسبت مدينة طبنة مكانة عظيمة خاصة في فترة حكم ابراهيم بن الأغلب، كما مثلت القاعدة الخلفية للقيروان للدفاع عنها، والوقوف أمام التهديدات المحتملة عليها من جهة الغرب[5]، خاصة بعد أن أصبحت من أكبر المدن في المغرب الإسلامي، على حسب قول البكري:" وليس من القيروان إلى مدينة سجلماسة مدينة أكبر منها"[6]ولهذا أصبح أمر إقامة التحصينات لحمايتها، محل اهتمام ولاة أمرها، فأقاموا الحصون، وأحيطت المدينة بالأسوار المتقنة البناء، سواء كان بناؤها من الطين أو الصخر الجليل[7].

كما تحدث البكري عن أبوابها، وقال:" ولمدينة طبنة من الأبواب باب خاقان، مبني بالحجر، عليه باب حديد، وهو سري، وباب الفتح غربي، باب حديد أيضًا، بينهما سياط يشق

---

[1] - البكري ، المسالك ، ص 738.
[2] - ابن حوقل، المصدر السابق، ص 77.
[3] - البكري، نفسه، ص711.
[4] - نفسه، ص711..

[5] -بوقاعدة، المرجع السابق، ص 70.
[6] - البكري، المسالك، ص711.
[7] - بوقاعدة، نفسه، ص70.

المدينة من الباب إلى الباب، وباب تهوذا قبلي عليه باب حديد، وهو سري أيضا ، والباب الجديد، حديد أيضا، وباب كتامة جوفي" [1]

ويصف عمرانها ومبانيها في قوله:"... بها قصر طبنة قديم، أولي كبير جليل، مبني بالصخر الضخم ، عليه آزاج كثيرة ينزله العمال ، وهو ملاصق لسور المدينة من جهة القبلة عليه باب حديد وهو شرقي، وخارج المدينة بإزاء باب الفتح سور مضروب على فحص فسيح يكون مقدار ثلي مدينة طبنة بناه عمر بن حفص هازر مرد ، ويشق سكك المدينة جداول الماء العذب ، وبها أسواق كثيرة غير السماط المذكور ، ولها بساتين بسيرة ملاصقة لمريض ، ومقبرتها بشرقيها وبقرب المقبرة غدير يعرف بغدير فرغان وهو بجوفي مصلى العيد ... واسم نهرها بيطام وإذا حمل سقى بسائطها وفحوصها"[2].

مدينة مسيلة:

مدينة المسيلة، جليلة محدثة، على نهر يسمى بنهر سهر، أسسها أبو القاسم إسماعيل بن عبيد الله، وكان المتولّي لبنائها علي بن حمدون بن سماك بن مسعود بن منصور الجذامي المعروف بابن الأندلسي، واستعمله عليها فلم يزل عليها إلى أن هلك في فتنة أبي يزيد ، وبقي ابنه جعفر فيها وصار أميرا على الزاب كله[3].

إن سبب بنائه لهذه المدينة بالمغرب، هو تلك المقاومة العنيفة، التي وجدها عند جبل بني برزال[4]، عندما خرج باتجاه المغرب، لإحكام سيطرته هناك، وفي طريق عودته مرَّ بالهضاب العليا والحضنة، أين رأى ضرورة حماية إفريقية، من جهة الجنوب الغربي ، فأسس أواخر 315ه/927-928م مدينة المحمدية، التي عرفت فيما بعد باسم المسيلة[5]، ويؤكد ذلك اب حماد حينما ذكر:" وقد هدَّن أبو القاسم المغرب، وقضى منه المآرب وانصرف

---

[1] - البكري، نفسه، ص712.

[2] - نفسه، ص ص711-712.

[3] - البكري، المسالك، ص722.

[4]- ينتمي بنو برزال المسيلة إلى بطن من بطون زناتة من بني يفرن، وكانوا يقطنون بالمغرب الأوسط، أنظر كناشة ابن سويد، الاثنين 1سبتمبر 2014، بنو برزال(البرازلة: من الأندلس إلى البرازيل عبر بحر الظلمات)، 23:30، 19مـــــــــــــاي2023م، https://bin-swauid.blogspot.com/2014/08/blog-post.html?m=1 ؛ أنظر أيضا عبد القادر بوميدونة، كريستوف كلومبوس الجزائريون هم أول من اكتشف قارة أمريكا، دورية كان التاريخية، العدد2، ديسمبر 2008م-1429ه، ص 55.

[5] - بوقاعدة، نفسه، ص 84.

وفي انصرافه هذا مرَّ بوادي سهر، فاختط مدينة المسيلة، رسمها برمحه وهو راكب على فرسه، وأمر على بن حمدون الجذامي[1] ... أن بينها ويحصنها ويحسنها وسماها المحمدية" [2]

تحدث البكري عن تحصين وبنيان مدينة المسيلة وسقايتها قائلا:" وهي مدينة في بساط من الأرض، عليها سوران بينهما جدول ماء جار، يستدير بالمدينة، وله منافذ يسقى منها عند الحاجة، وللمدينة أسواق وحمامات وحولها بساتين كثيرة، ويقرب منها جبل عجيسة وهوارة، وبني برزال، ولهم كانت أرض المسيلة، وبقبلي مدينة المسيلة، موضع يعرف بالقباب، فيه قباب من بنيان الأول، وعلى مقربة منها مدينة للأول خربة، يقال لها بشيلقة فيها جدولان من ماء عذب، جلبته الأول إليها، يقال لها تارقا أنوودي، تفسيره ساقية السمن، ونهر سَهَر الذي عليه مدينة المسيلة منبعثه من عيون داخلة مدينة غدير وأروا ، وهي مدينة كبيرة أولية بين جبال فيها عين ثرة عذبة عليها الأرحاء وعين أخرى وتحتها عين خرارة يقال لها عين مخلد تجتمع فيها ، ومن هناك منبعث نهر سهر".[3]

مدينة جزائر بنى مزغنى:

وهي مدينة جليلة قديمة البنيان، فيها آثار للأول، وآزاج محكمة تدل أنها كانت دار مملكة لسالف الأمم والبحر يضرب في سورها [4]، يذكر الحموي عن موقعها:"وجزائر بني مزغنة اسم علم لمدينة على ضف البحر بين إفريقية والمغرب"[5]، بناها بلكين، في عهد أبيه الزيري سنة 335ه/946 م، توسعت وازدهرت في عهد الزيرين[6]، يؤكد ذلك ابن خلدون في قوله :" أن اختط ابنه بلكين، بأمره وعلى عهده، وعهده مدينة الجزائر المنسوبة لبني مزغنة بساحل البحر"[7]

ويصفها البكري قائلا:"وصحن دار الملعب فيها قد فرش بحجارة ملونة صغار مثل الفسيفساء فيها صور الحيوان بأحكم العمل وأبدع صناعة لم يغيرها تقادم الزمان ولا تعاقب القرون ، ولها أسواق ومسجد جامع . وكانت بمدينة بني مزغنى كنيسة عظيمة بني منها جدار مدير من الشرق إلى الغرب ، وهو اليوم قبلة الشريعة للعيدين مفصص كثير النقوش

[1] - هو جعفر بن علي بن حمدون بن سماك، المعروف بابن الأندلسي، صاحب المسيلة ، وأمير الزاب، كانت بينه وبين زيري بن مناد محاسدة أفضت لمقتل الأخير على يد ابن حمدون، الذي فرَّ إلى الأندلس أين قتل فيها سنة 364هـ/974م .أنظر عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، المكتب التجاري للطباعة، بيروت، ط، بيروت، 1971م، ص59.

[2] - أبو عبد الله محمد بن علي الصنهاجي ابن حماد، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تح عبد الحليم عويس والتهامي نقرة، دار الصحوة ،د.ط، القاهرة، 1965م، ص46.

[3] - البكري، المسالك، ص 724.

[4] - نفسه، ص 732.

[5] - الحموي، المصدر السابق، ج6، ص132.

[6] - توديات وبناي، المرجع السابق، ص44.

[7] - ابن خلدون، العبر، ج6، ص204.

والصور ومرساها مأمون له عين عذبة يقصد إليه أصحاب السفن من إفريقية والأندلس وغيرها"[1] .

مدينة بسكرة:

مدينة بسكرة حسب ما ذكره البكري مدينة كورة فيها من كثيرة وقاعدتها بسكرة، وهي كبيرة كثيرة النخل والزيتون، وأصناف الثمار ، مسورة عليها خندق، وبها جامع، ومساجد كثيرة، وحمامات وحواليها بساتين كثيرة، وهي في غابة كبيرة مقدار ستة أميال.[2]

وصفها الحموي قائلا:" بلدة بالمغرب من نواحي الزاب بينها وبين قلعة بني حماد مرحلتان، فيها نخل وشجر وقصب جيد، بينها وبين طبنة مرحلة"[3]

وذكر موقعها ابن خلدون، حيث ذكر أنها وجدت مدينة بسكرة على السفوح الجنوبية، لجبال الأوراس الغنية بالمجاري المائية، وهي تمثل أقصى الشمال الشرقي لصحراء المغرب الأوسط[4].

ارتبط تاريخ مدينة بسكرة ارتباطا وثيقا بتاريخ "الزيبان"[5]، وجنوب الأوراس، حيث كانت دائما عاصمة الزيبان وذلك لوقوعها وسط هذا الإقليم وقد تأسست هذه المدينة منذ العهد الروماني، حيث كانت تعرف تحت اسم فيسكر أو سكرة وذلك مصدر تسميتها[6]، ويظهر تأكيد أن بسكرة مدينة قديمة غير مستحدثة في قول البكري:" ...وهي من بنيان الأول " أي أنها من بنيان السابقين.

كما استوطن البربر من قبائل زناتة المنطقة، حيث كانوا رحل، وأنصاف مقيمين يتنقلون بقطعان ماشيتهم في اتجاه الشمال نحو المراعي والسهوب، لوجود الكلأ في فصل الصيف والخريف ويعودون في فصل الشتاء وذلك في القرن 3م، وفي القرن 1ه/7م، تمكن عقبة بن نافع من فتح شمال إفريقيا، كانت بسكرة ضمنها، فاستطاع أن يطرد الحاميات

---

[1] - البكري، المسالك ص732.

[2] - البكري، نفسه ص 713.

[3] - الحموي، المصدر السابق، ج1، ص 422.

[4] - ابن خلدون، العبر،ج6، ص585.

[5] - مفرده الزاب وهو إقليم يضم مدن كثيرة، وأنظار واسعة، وذكر أن بها خمس مدن وهي : بسكرة والبرج ونقطة، وتلكة، ودوسن، وقد شمل في القرون الأولى حتى سهول الحضنة، والمدن الواقعة في سفوح الأطلس الجنوبية (المسيلة، مقرة و طبنة).أنظر أحمد طالب الإبراهيمي، آثار محمد البشير الإبراهيمي، ج1، دار الغرب الإسلامي، القاهرة، ط، 1997م، ص 353.

[6] - عبد الغني غانم، مدينة بسكرة نموها وتهيئة مجالها الحضري، حوليات وحدة البحث بإفريقيا العالم العربي، مجلة محكمة، دار الهدى، عيد مليلة ، الجزائر، 1999م، مجلد 3، ص 24.

الرومانية منها، لتصبح فيما بعد في ظل الحماديين، حوالي عام397-546ه /1007-1152م.[1]

ويذكر البكري مدن وقرى بسكرة قائلا:" ومن مدنها مدينة جمونة ومدينة ومدينة طولقة ومدينة مليلى ومدينة بنطيوس... وقرية من قرى بسكرة تسمى ملشون"[2]

وسقاية مياه مدينة بسكرة من المياه الجوفية والجارية المتوفرة بها، إذ ذكرها البكري:" داخل مدينة بسكرة آبار كثيرة عذبة منها في الجامع بئر لا تنزف، وداخل المدينة جنان يدخل إليها الماء من النهر... وشرب بسكرة من نهر كبير يجري في جوفيها منحدر من جبل أوراس "[3] وذكر أيضا أبوابها:" ولها من الأبواب باب المقبرة وباب الحمام وباب ثالث"[4] .

ويضيف الإدريسي عن حصنها :" وهو حصن منيع في كدية تراب عال وبه سوق وعمارة وبه أيضا من الثمر كل غربة وطريفة" ، ويضيف ابن حوقل عن موقعها:" وعن يسار جبل الأوراس توجد مدن، بسكرة، تهودا، ويأخذ من القيروان طريق إلى جبل أوراس ..."[5]

ذكر البكري أيضا عنها:" أن بها جبل ملح يقطع منه الملح كالصخر الجليل، ومنه كان عبيد الله الشيعي وبنوه يستعملون في أطعمتهم، وتعرف ببسكرة النخيل ... وببسكرة جبلاً يعرف بزيقيزي في وسطه كهف فيه"[6].

3-المدن بالمغرب الأقصى:

ويسمى بذلك لبعده الكبير عن مركز الخلافة، وقد حدها ابن عذارى في تقسيم بلاد المغرب، من تاهرت عاصمة المغرب الأوسط إلى نهاية بلاد طنجة من مدينة سلى وقصد بذلك المغرب الأقصى[7]، من أهم مدنه مدينة فاس وسجلماسة.

مدينة سجلماسة:

وهي مدينة من مدن المغرب الأقصى، تحدث ياقوت الحموي عن موقعها فنجده يقول:"مدينة في جنوب المغرب في طرف بلاد السودان بينها وبين فاس عشرة أيام تلقاه

[1] - خديجة ضيف، مدينة بسكرة في العصر الوسيط دراسة تاريخية وحضارية، مذكرة مقدمة لاستكمال شهادة ماستر أكاديمي تخصص تاريخ وحضارة المغرب الأوسط، كلية العلوم الإنسانية، جامعة غرداية، 2015/2014م، ص ص 28،30.

[2] - البكري، المسالك ، ص714.

[3] - نفسه، ص ص 713- 714.

[4] - نفسه، ص713.

[5] - ابن حوقل، المصدر السابق، ص68.

[6] - البكري، نفسه، ص 741.

[7] - ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 5.

الجنوب، وهي في منقطع جبل درن"[1]، ويقول عبد الحميد زغلول تقع سجلماسة في شمال وادي درعة على طرف الصحراء جنوبا في آخر بلاد العمران، وتليها المغارة الكبرى التي تؤدي إلى غانة.[2]

ويقول عنها البكري :".مدينة سجلماسة سهلية أرضها سبخة حولها أرباض كثيرة، وفيها دور رفيعة، ومبان سرية، ولها بساتين كثيرة، وسورها أسفله مبني بالحجارة وأعلاه بالطوب، ولها ثمانية عشر بابا ثمانية منها حديد، وهي على نهرين، وعنصرهما من موضع يقال له أجلف تمده عيون كثيرة، وجامع سجلماسة متقن البناء، وحماماتها رديئة البناء غير محكمة العمل، و سجلماسة في أول الصحراء، لا يعرف في غربيها، ولا قبليها عمران".[3]

ملك بنو مدرار سجلماسة 160سنة، وكان فيها أبو القاسم سمكو ابن واسول المكناسي، وجد مدرار لقي بافريقية عكرمة مولى بن عباس وسمع منه، وكان صاحب ماشية، وكثيرا ما يذهب لموقع سجلماسة، فجمع إليه قوم من الصفرية، فلما بلغوا أربعين رجلا، قدموا على أنفسهم عيسى بن يزيد الأسود، وولوه أمرهم فشرعوا في بنيان سجلماسة، سنة 140ه/757م، ويقال أيضا أن مدرار كان حدادا فنزل بقرب سجلماسة، إذ هو مكان يجتمع فيه البربر وقتا ما من السنة، يتسوقون بها، فكان مدرار يحضر سوقهم، بما يعده من آلات الحديد، ثم ابتنى بها خيمة وسكنها، وسكن البربر حوله، ثم تمدنت، والقول الأول فهو الأصح.[4]

مدينة سبتة:

وهي مدينة قديمة سكنها الأول، وبها آثارهم بقايا كنائس وحمامات، كبيرة مسورة بسور صخر محكم البناء بناه عبد الرحمان الناصر لدين الله، وهي على ضفة البحر الرومي (وهو بحر الزقاق الداخل من البحر المحيط) وهي في طرف من الأرض، داخل من الغرب إلى الشرق ضيق جدا والبحر محيط بها شرقا وشمالا وقبلة"[5]. يقول ابن حوقل عنها:" ... ومنها إلى مدينة سبتة، وهي لطيفة على نحر البحر، وبها بساتين وأجنة تقوم بأهلها،ماؤها من داخلها يستخرج من آبار بها معين، ومن خارجها أيضا من الآبار شيء كثير عذب... ولها من ظاهرها بربر يأخذ صداقتهم ولوازمهم وخراجهم من كان واليا عليها، وكذلك من كان بمرسى موسى في ضمنهم"[6]

---

[1] - الحموي، المصدر السابق، ج3، ص 192.

[2] - عبد الحميد سعد زغلول، تاريخ المغرب العربي تاريخ دول الأغالبة والرستميين وبني مدرار والأدارسة أيام الفاطميين، ج2، منشأة المعارف للنشر، الإسكندرية، 1993م، ص 409.

[3] - البكري، المسالك، ص ص 835-836.

[4] - البكري، المسالك، ص 836.

[5] - نفسه، ص 781.

[6] - ابن حوقل، المصدر السابق، ص79.

يصفها البكري قائلا :" بها حمام قديم يعرف بحمام خالد، ولها ربض من جانب الشرق فيه ثلاثة حمامات وجامعتها على البحر القبلي المعروف ببحر بسول له خمسة بلاطات وفيه صحن جبَّان، ولها مقبرة في الجبل(مطل على البحر) ومقبرة أخرى بجوفيها على بحر الرملة، وبشرقي مدينتها جبل منيف، كان محمد بن أبي عامر ابتدأ في بناء سور لم يتم، وهذا الجبل مطل على الربض المذكور الذي فيه الحمامات وما بينهما كروم، ودار الإمارة في جوفي المدينة ، وطولها من السور الغربي الذي يدخل منه إلى المدينة قاطعاً إلى الشرق إلى آخر الجزيرة خمسة أميال، والمدينة في الجانب الغربي منها، ولسورها الغربي تسعة أبراج، والباب في البرج الأوسط، وبين يدي هذا السور، سور يستر الرجل ويتصل به خندق عميق عريض، عليه قنطرة خشب أمامها بستان وآبار ومقبرة، والسور القبلي على أجراف عالية، والشرقي والجوفي فيه تطامن، ولها باب ثان مما يلي الجوف في برج يعرف ببرج سابق يدخل منه إلى دار الإمارة، وذرع المدينة من السور الغربي إلى الشرقي، ألفان وخمسمائة ذراع، وذرع ما يأخذه ثقاف الربض المتصل بالسور الغربي 7 ألاف و4 مائة ذراع ... وماؤها مجلوب من نهر أوليات مع ضفة البحر القبلي في قنا إلى الكنيسة التي هي أصبحت جامعا".[1]

كما ورد عن ابن حوقل بأن مدينة سبتة مدينة وافرة غزيرة المياه، وأن ماؤها من داخلها يستخرج من أبار بها معين ومن خارجها أيضاً من آبار كثيرة عذبة .[2]

مدينة طنجة:

ورد في كتاب البكري أن اسمها بالبربرية (وليلي)، وهي على شاطيء البحر المعروف بالزقاق افتتحها عقبة بن نافع [3]، وهي مدينة قديمة بها أثار أزلية أبنيتها بالحجارة قائمة على وجه البحر، سكنها أهلها قديما سنين في صدر الإسلام، ثم استحدثوا لهم مدينة على مسيرة ميل منها على ظهر جبل، والذي أوجب استحداثها، خوف آل إدريس عليها عند استحواذهم على سبتة في وقتهم، ماؤها مجلوب إليها من قنِّي من مكان بعيد لا يعلم أصله[4].طنجة مدينة ضاربة في القدم، تقول الروايات التاريخية أن من بناها هم الفينيقيون حوالي سنة 1500ق.م[5].

تحدث البكري عن قدم وتحصين وعمران طنجة، حيث قال:" مسورة متقنة البناء، وهي محط السفن اللطاف لأن الريح الشرقية توذي فيه، وهي طنجة البيضاء القديمة

[1] - البكري، المسالك، ص 781.
[2] - ابن حوقل، المصدر السابق، ص79.
[3] - البكري، نفسه، ص 781.
[4] - ابن حوقل، نفسه، ص 77.
[5] - نجيب زبيب، الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس، دار الأمير، بيروت، ط، ج1، ص ص212- 213.

المذكورة في التواريخ، وفيها آثار للأول كثيرة قصور وأقباء وغيران وحمام، وماؤها مجلوب في قنا ورخام كثير وصخر منجور، وهي آخر حدود إفريقية في الغرب وقيل إن عمل طنجة مسيرة شهر في مثله، وإن ملوك المغرب كانت دار مملكتهم مدينة طنجة، وبها جامع حسن وسوق عامرة".[1]

مدينة فاس:

مدينة فاس مدينة من أهم مدن المغرب الأقصى، وهي مدينتان مقترنتان مع بعض، مسورتان بينهما نهر به أرحاء وقناطر، يطلق عليهما تسمية العدوتين عدوة الأندلسيين وعدوة القرويين. وكلتا العدوتين في سفح جبل والنهر الذي بينهما مخرجه من عين غزيرة في وسط مرج ببلاد مطغرة، وبالمدينتين أزيد من 300 رحى، وفيهما نحو عشرين حماماً، وهي أكثر بلاد المغرب يهودا، وأسست العدوتين على حسب ما أورده البكري سنة 193ه/809م -، في ولاية إدريس بن إدريس (ت.213ه/828مـ). [2]

وأما عن تعمير المدينة، قام الإمام إدريس الثاني، بتقسيم الأراضي المحيطة بالمدينة على قبائل العرب والبربر وأنزل كل قبيلة بناحية، فنزلت العرب القيسية بجوار الأسوار الجنوبية، من عدوة القرويين، من باب إفريقية إلى باب الحديد، ونزلت الأزد بجوارهم، ونزل الحصبيون على الجهة المقابلة للفيسية أي بإزاء الأسوار الشمالية، وقد وصلها عام 202هـ / 818م بعض من المياجرين من قرطبة، ويذكر المؤرخون أن عددهم قدر حوالي 8000 بيت ومنذئذ أخذت تسمية عدوة الأندلسيين، وبعد بضع سنوات جاءت عام 210ه/825م جماعة أخرى من المهاجرين السياسيين من القيروان لاجئة إلى فاس، حيث قدرت المصادر أعدادهم بـ 300 أسرة، فأقامهم إدريس الثاني بالمدينة العالية، فأصبحت منذ ذلك الحين تحمل اسم "عدوة القرويين"، أما قبائل البربر من صباجة ولواتة فلم تقف المصادر على تحديد مواقعيا، واكتفت بالإشارة إلى أن كل قبيلة نزلت بناحيتها، وإلى جانب المسلمين من العرب والبربر، حوت المدينة أيضا أعدادا من اليهود، حيث أنزلهم إدريس الثاني بعدوة القرويين، بناحية أعلان إلى باب حسن سعدون، حيث تملكوا البساتين والحوانيت، وقد رتبهم الإمام أحسن ترتيب في الإسكان[3].

يصف البكري عدوة الأندلسيين :" ولعدوة الأندلسيين من الأبواب باب الفتوح قبلي منه يخرج إلى القيروان، وباب الكنيسة شرقي يقابل ربض المرضى، وباب أبي خلوف شرقي، وباب حصن سعدون جوفي وباب الحوض غربي يقابل عدوة القرويين،

[1] - البكري، نفسه، ص ص 787- 788.

[2] - البكري، المسالك، ص796.

[3] - عبد الرحمان بن بوزيان، محطات من التاريخ السياسي والحضاري لمدينة فاس منذ النشأة إلى بداية عهد الحماية، مجلة قرطاس الدراسات الفكرية والحضارية، المجلد8، العدد1، 2021م، ص 131.

وباب سلمان مثله، ومن هاذين البابين يخرج أهل العدوة إلى الحرب إذا كان بينهم اختلاف، وباب الفوارة. وبها جامع فيه ست بلاطات طولها من الشرق إلى الغرب وعمده أرجل كذان، وله صحن فسيح فيه أصول جوز وشجر وساقية تعرف بساقية مصمودة غزيرة الماء"[1].

ويصف عدوة القرويين قائلا:"يذكر البكري عن عدوة القرويين:" أن عدوة القرويين في غربي عدوة الأندلسيين وعلى باب دار الرجل فيها رحاه وبستانه بأنواع الثمر وجداول الماء تخترق داره ... ولعدوة القرويين من الأبواب باب الحصن الجديد قبلي، وباب السلسلة شرقي يخرج منه إلى عدوة الأندلسيين، وباب القناطر شرقي، وباب سياج يحي بن القاسم جوفي، وباب سوق الأحد غربي، وبها جامع فيه ثلاثة بلاطات طولها من الشرق إلى الغرب بناه إدريس وله حصن كبير فيه زيتون وشجر وله سقائف، وبها نحو من عشرين حماما وهي أكثر بساتينا ومياها"[2].

مدينة نكور:

أسس مدينة نكور، وبناها سعيد بن إدريس بن صالح بن منصور الحميري[3]، في زمن الوليد بن عبد الملك، منذ الثلاثينيات من ق 2 ه/8م إلى حدود وفاة إدريس بن صالح سنة 143ه/760م، ويبدو أن مدينة نكور كانت أول مدينة بنيت في المغرب الأقصى، وصارت حاضرة عظمى من حواضر الإسلام، كما يذكر أحد الدارسين أن بناء هذه الحاضرة أصبح عرفا سياسيا جرى عليه كافة مؤسسي الدول المستقلة ببلاد المغرب[4].

يذكر البكري موقع مدينة نكور :"... بينها وبين البحر خمسة أميال، وبينها وبين القيروان وهي بين رواب منها جبل يقابل المدينة يعرف بالمصلى"[5]

ويصفها قائلا:"وبها جامع على أعمدة من خشب العرعار، وهو والأرز أكثر خشبها، ولها أربعة أبواب: في القبلة باب سلمان وبين القبلة والجوف باب بني ورياغل وفي الغرب باب المصلى وفي الجوف باب اليهود، وسورها من اللبن وبها الحمامات كثيرة وأسواق عامرة، وهي بين نهرين، أحدهما نكور ومخرجه من بلاد كزناية من جبل بني كوين، والثاني نهر غيس منبعثه من بلد بني ورياغل، وعلى نهريها الأرحاء"[6].

---

[1] - البكري، المسالك، ص 796.

[2] - نفسه، ص 796.

[3] - نفسه، ص796

[4] - صلاح خليل إبراهيم سلام، العلاقات السياسية والحضارية بين إمارة بني صالح في نكور والدولة الأموية الأندلسية، حوليات عين الشمس جامعة حلوان، المجلد 44، يناير مارس 2016م، ص 378.

[5] - البكري، نفسه، ص 774.

[6] - البكري، المسالك، ص 774.

كما أصبح السوق الذي أسسه صالح بن منصور، على الضفة اليمنى لنهر نكور، أول أنموذج للنشاط التجاري وللعمران الحضري على مستوى المغرب والأندلس[1]، وتشير النصوص إلى أن المسافة بين تمسامان والمزمة 5 أميال من شط البحر، وهي نفس المسافة بين بجاية والمرية التي أسسها عبد الرحمان الناصر، مما يشير إلى مدى التأثيرات العمرانية على بلاد الأندس[2].

ويذكر البكري رباط نكور الذي أسسه صالح بن منصور، عند ملتقى نهري غيث ونكور،وحدد مكانه في قوله:" بموضع يقال له أكدال، ثم يتشعب هناك، جداول، وفي طرفهذا الموضع رباط نكور"[3]

مدينة أغمات:

وهي مدينتان سهليتان، إحداهما تسمّى أغمات إيلان، والأخرى أغمات وريكة، وبها مسكن رئيسهم وبها ينزل التجار والغرباء ، وأغمات إيلان لا يسكنها غريب، وبينهما ثمانية أميال، ولها نهر لطيف يجري من القبلة إلى الجوف، ماؤه زعاق يقال له تاقيروت، وحولها بساتين ونخل كثير ، وهو بلد واسع يسكنه قبائل مصمودة فيه قصور وديار وبها أسواق جامعة ، فسوق أغمات وريكة يقوم الأحد بضروب السلع وأصناف المتاجر[4] .

ورائها إلى جهة البحر المحيط السوس الأقصى، وأهلها فرقتان يقال لأحدهما المسوية من أصحاب ابن ورصند، والفرقة الأخرى مالكية حشوية، وبينهما اقتال الدائم، وقد تداولتهم عدة دول منها: دولة الملثمين وكان فيهم جدٌّ وصلابة في الدين، ثم عبد المؤمن وبنوه، وهي للمصامدة .[5]

[1] - إبراهيم سلام، نفسه، ص378.
[2] - البكري، نفسه، ص774.
[3] - نفسه، ص774.
[4] - البكري، نفسه، ص ص 842- 843 .
[5] - إسماعيل العربي، المدن المغربية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط، 1984م، ص109.

في الأخير بعد إتمام مادة هذا المبحث، نستخلص أن المغرب الإسلامي بأقسامه الثلاثة - الأدنى والأوسط والأقصى- عرف بعد الفتح الإسلامي لهذه البلاد، خاصة بعد النصف الثاني من القرن 3ه/9م بناء مدن جديدة، وإحياء أخرى كانت قائمة، ولعبت هذه المدن في المغرب الإسلامي دورا هاما في الحفاظ على الهوية الإسلامية، والتقدم الثقافي والاقتصادي، كانت هذه المدن مراكزا للتجارة والعلم والفنون والثقافة، كان ظهور أغلب هذه المدن مرتبطا، بالأوضاع السياسية والعسكرية في المنطقة أو خارجها، حيث مثل تأسيس المدن وتعميرها وتطويرها، عاملا من عوامل قوة أي دولة، وشكل بناء الحصون، مظهرا مهما اهتم به أمراء وقادة المغرب الإسلامي، في تأسيس عواصم مدنهم، واعتمدوا في تعمير مدنهم على سياسة جذب الناس بالامتيازات، وإنشاء مراكز العلم لجذب العلماء وطلبة العلم.

الخاتمة

ومن خلال ما سبق، توصلنا إلى مجموعة من النتائج، نستخلصها فيما يلي:

- "المغرب في ذكر أفريقية والمغرب" هو كتاب مهم لأبي عبيد الله البكري، يتناول تاريخ المغرب وإفريقية، ويعتبر مصدرا مهمًا للدارسين والمهتمين بتاريخ المغرب الإسلامي.

- اعتمد البكري فيه على مصدرين أساسيين، الأول الرواة والآخر المؤلفات، إلا أن المورد الثاني كان نصيبه الأوفر بين مصادره .

- يتحدث الكتاب عن العديد من الموضوعات المتعلقة بالمغرب، بما في ذلك الجغرافيا والتاريخ والثقافة والعمارة حيث يتضمن الكتاب معلومات مفصلة عن الدول الإسلامية في المغرب الإسلامي، والأحداث التي حدثت فيها، ويركز البكري على النواحي المتعلقة بالمدن فكانت مادته العلمية تتسم بالشرح والوصف والتحليل الدقيق.

- تأثرت العمارة في المغرب الإسلامي بشكل كبير بالفتح الإسلامي، وكذا ظهور الدول المستقلة، وقد شهدت تطورًا كبيرًا خلال هذه الفترة، وكانت تعكس القيم الإسلامية. فمثلا بلاد المغرب قبل الفتح الإسلامي كان لها طابعها العمراني الخاص، وكانت هناك العديد من المدن العامرة وبدخول الإسلام بلاد إلى المنطقة، أحدث تغيرات مست جميع الجوانب، بما في ذلك الجانب العمراني، ذلك لأن المسلمين، كانوا يبادرون في معظم المناطق التي يفتحونها، بإقامة المساجد، و أسسوا المدينة الإسلامية في بلاد المغرب، رفعا للواء الإسلام.

- كانت مواد البناء المستخدمة في بناء مدن المغرب الإسلامي تشمل العديد من المواد المتوفرة في المنطقة، بما في ذلك الحجر والطوب والخشب الرخام الآجر، وتميزت بالمتانة والجمال، وكانت تستخدم بطريقة توفر الحماية.

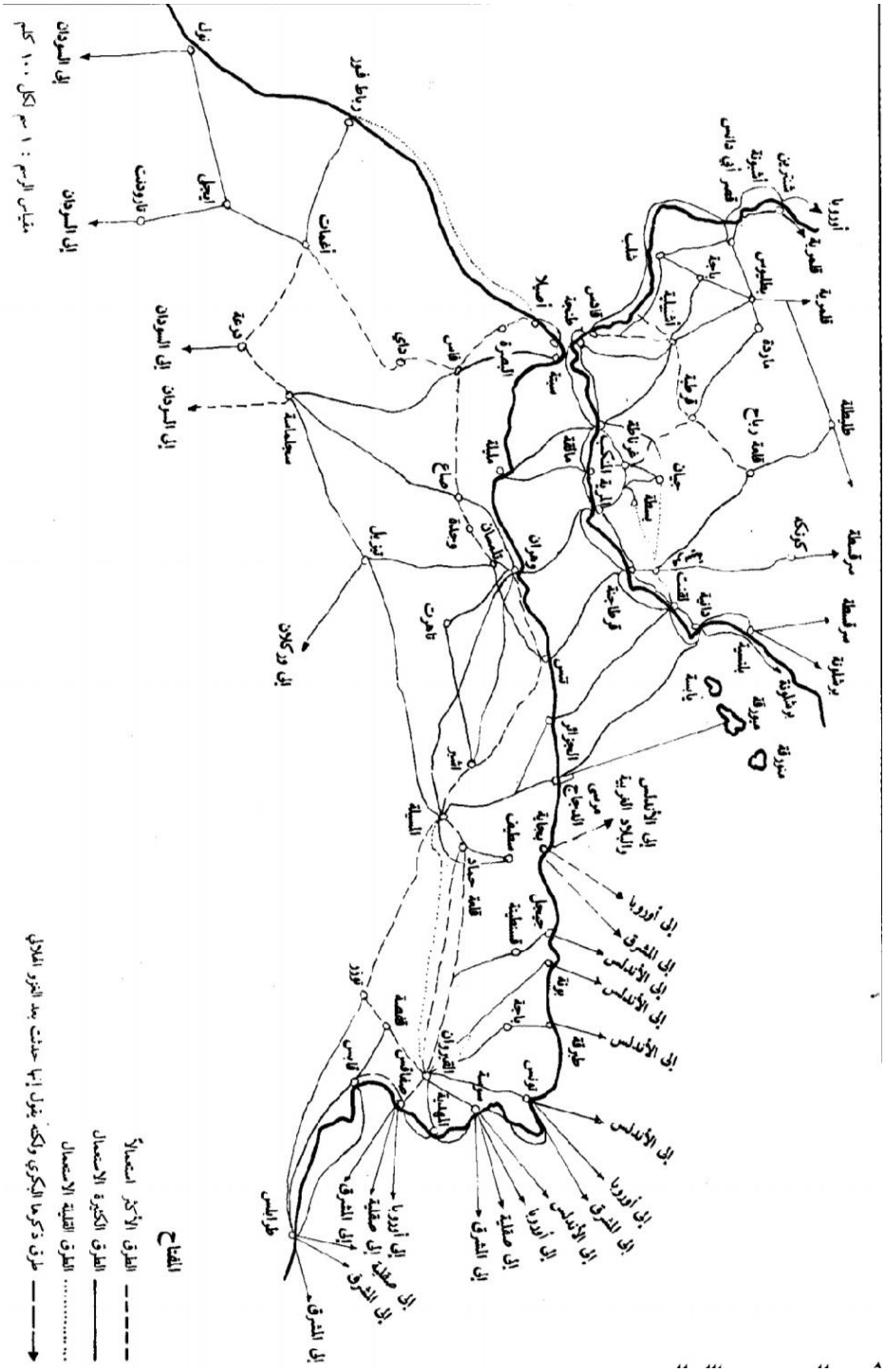
- من شروط اختطاط المدن التي ذكرها ابن خلدون، وأكدها البكري في وصفه للمدن في مصنفه: توفير المياه، وتوفير الخدمات الأساسية للسكان، و أن تكون قريبة من طرق التجارة، و توفير الحماية أي تحصين المدينة سواء طبيعيا كاختطاطها على جبل أو من خلال بناء الحصون حولها.

-كانت المساجد والمدارس والحمامات والمقابر والقلاع والأبراج والحصون، جزءًا مميزا من التخطيط العام للمدن، وكانت هذه المدن تبرز بتصميمها الجميل والمتناسق وتعبر عن الحضارة الإسلامية العظيمة.

- أدى الفتح الإسلامي إلى تبادل الثقافات والتقاليد بين الشعوب المختلفة، مما أثر بشكل كبير على التطور الثقافي والفني في المغرب الإسلامي.

- ذكر البكري في كتابه العديد من المدن الإسلامية في المغرب، ووصف بعضها بالتفصيل، مثل مدينة فاس ومدينة تونس ومدينة القيروان وتيهرت وتلمسان، وقد تحدث أيضًا عن العمارة الإسلامية في هذه المدن، ذكر بعض ظروف تخطيطها وعمارتها، ولذلك يعتبر كتاب "المغرب" مصدرًا هامًا لفهم دور المغرب في تطور العمران الإسلامي.

الملاحق



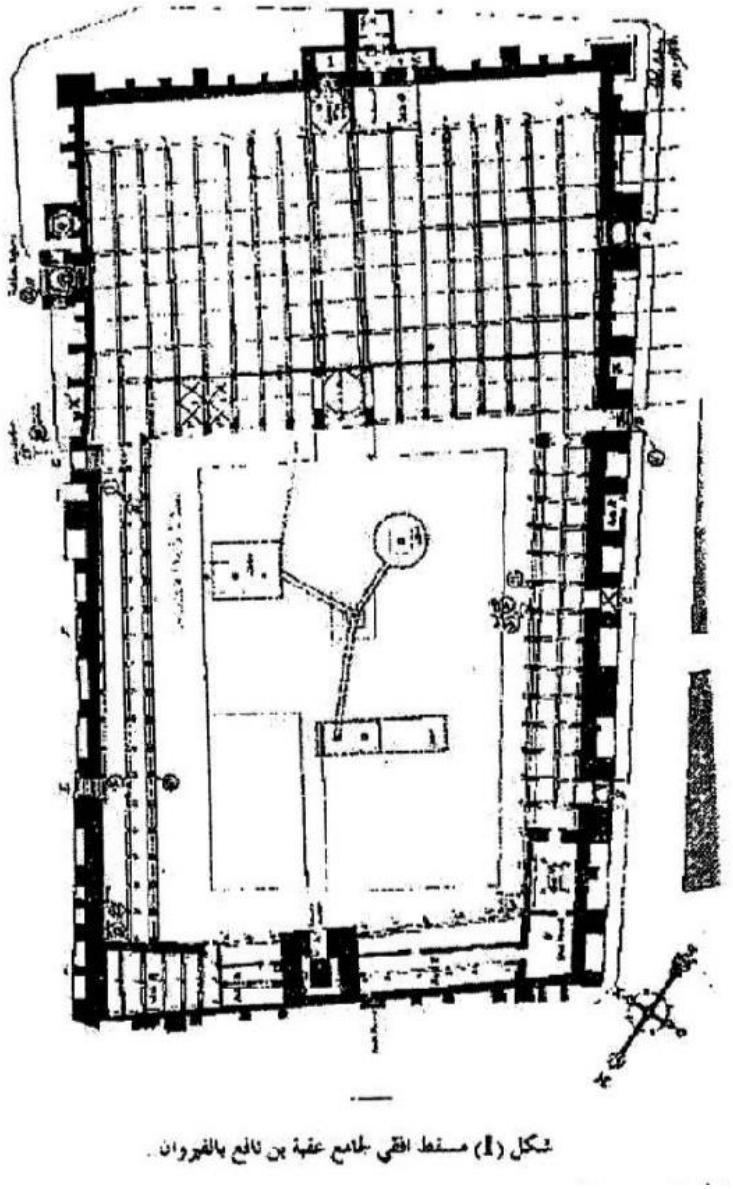
الملحق رقم(1):الطرق التجارية قبل قيام دولة المرابطين .[1]

[1] - عز الدين أحمد موسى، النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري، دار الشرق، بيروت، ط، 1403م، ص208.



الملحق رقم (2): صورة خارجية لمسجد عقبة بن نافع بالقيروان[1].

[1] - تصوير موسى هيصام ، 22 فيفري 2023.



شكل (1) مسقط افقي لجامع عقبة بن نافع بالقيروان .

الملحق رقم(3) : مسقط أفقي لجامع عقبة بن نافع بالقيروان .[1]

[1] -البهنسي، المرجع السابق، ص31.



الملحق رقم(4): صورة لرباط المنستير بسوسة- منظر خارجي-[1]

[1]- تصوير موسى هيصام، فيفيري 2023.



الملحق رقم(5): منارة رباط سوسة بالمغرب الأدنى- منظر خارجي-[1]

[1] - تصوير موسى هيصام، 22فيفيري2023.



الملحق (6): خريطة توضح أهم مدن بلاد المغرب الإسلامي.[1]

[1] - وليد يسعد، حياة يسعد، المرجع السابق، ص110.



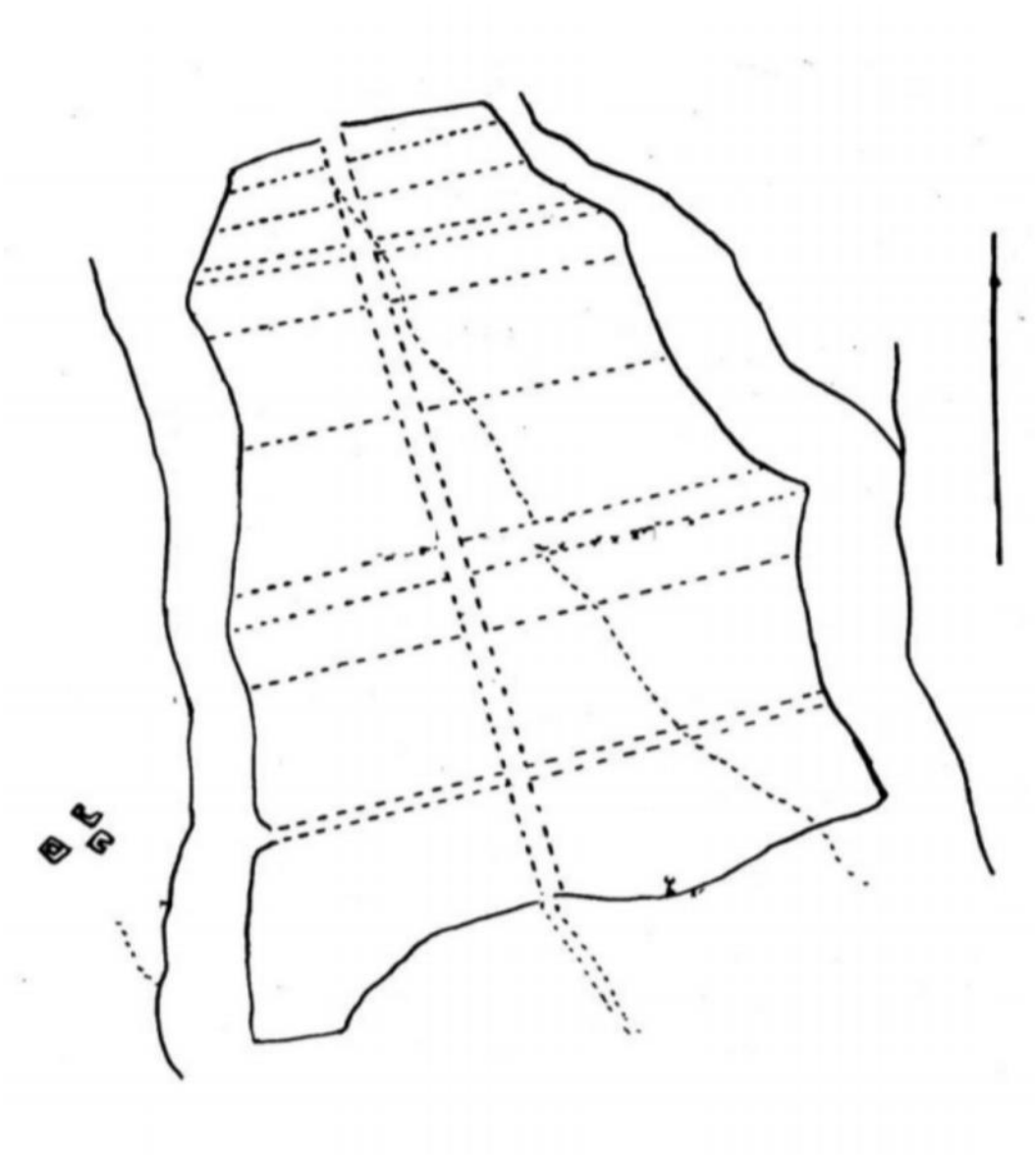
الملحق رقم (7): صورة للمدخل الرئيسي لمسجد المهدية[1].

[1]- تصوير موسى هيصام، فيفري 2023.



الملحق رقم (8): صورة لجزء من بقايا مدينة المهدية بالمغرب الأدنى- منظر خارجي-[1]

[1]- تصوير موسى هيصام، فيفري 2023.



الملحق رقم (9) : رسم توضيحي لمدينة أشير وسورها التحصيني .[1]

[1] - وليد يسعد وحياة يسعد، المرجع السابق، ص98.



الصورة رقم 01.



الصورة رقم 02.

الملحق (10): منظر عام لأثار آشير[1].

[1] - وليد يسعدو حياة يسعد، المرجع السابق، ص99.

قائمة البيبلوغرافيا

- القرآن الكريم

- الحديث النبوي الشريف

- صحيح البخاري، رقم الحديث 48، دار ابن كثير، بيروت، 1423هـ/2002م.

أولا : المصادر

1) ابن الأثير عز الدين أبو الحسن علي(ت.630ه/1233م)، الكامل في التاريخ، ج1،تح أبو صيب الكرمي، دار الأفكار الدولية، الأردن، ط، 2009م.

2) الإدريسي أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله(ت.560ه/1154م)، نزهة المشتاق في إختراق الآفاق، مج1، مكتبة الثقافة الدينية، د.ط، د.ت.ن.

3) ابن بسام أبو الحسن علي(ت.449ه/ 1058م)، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ق 4، مج 1، دار الثقافة، بيروت، ط، 1399هـ/1979م.

4) البكري أبو عبيد الله (ت.487ه1094م):

- المسالك والممالك، تح أدريان فان ليوفن و أندري فيري، الدار العربية للكتاب، تونس 1992م.

- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ج1، نح مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت ط، 2009م.

5) البلاذري أحمد بن يحيى (ت.279ه/892م)، فتوح البلدان، تح شوقي أبو خليل، منشورات وزارة الثقافة، سوريا دمشق، ط1، 1997م.

6) ابن عبد الحكم القرشي المصري أبو القاسم (257ه/871م)، فتوح مصر والمغرب، تح عبد المنعم عامر ، دار الذخائر، القاهرة ،ط، د .ت.ن.

7) الحميري محمد بن عبد المنعم(ت. أواخر القرن9 ه/15م)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح إحسان حقي، مكتبة لبنان، بيروت، ط2، 1984م.

8) ابن حوقل أبو القاسم (عاش في القرن 4ه/10م)، صورة الأرض المسالك والممالك ، دار مكتبة الحياة، لبنان بيروت، ط ، 1995م.

9) ابن خلدون عبد الرحمان (ت.808ه/1406م):

- المقدمة،(ج1، ج2)، تح عبد الله محمد الدرويش، دار البلخي، دمشق، ط، 1425هـ/2003م.

- العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، (ج6، ج7) مر. سهيل زكار، دار الفكر، ط، 2001م.

10) الذهبي الحافظ شمس الدين(ت.749ه/1348م): تجريد أسماء الصحابة،ج1، دار المعرفة لبنان،د.ط،د.ت. ن.

11) ابن سعد محمد بن منيع الزهري (ت.230ه/844م): الطبقات الكبير، ج9 ،تح، علي محمد عمر، ط1 مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 1221هـ/2001م.

12) السمعاني أبي سعد عبد الكريم بن منصور التميمي (ت.507ه/1116م): الأنساب، تعليق عبد الرحمان بن يحي المعلمي اليماني أمين مكتبه الحرم المكي، ج 2، دائرة المعارف العثمانية الهند، ط، 1963م.

13) ابن الصغير المالكي(عاش في القرن3ه/9م): أخبار الأئمة الرستميين، تح محمد ناصر وإبراهيم بجاز، دار المغرب الإسلامي، بيروت، ط، 1985م.

14) ابن عذارى المراكشي أبي العباس أحمد بن محمد(ت.بعد 712ه/1312م): البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج1، تح ج.س.كولات و إ.ليفي بروفنسال، دار الكتاب العلمية، الجزائر، ط، 2009م.

15) القاضي النعمان بن محمد (ت.364ه/974م): المجالس والمسايرات، تح الحبيب الفقي وآخرون، دار المنتظر، بيروت، ط، 1996م.

16) القزويني زكريا بن محمد بن محمود (ت.682ه/1283م): آثار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر، بيروت،د.ط،د.ت.ن.

17) أبو عبد الله محمد بن علي بن حماد (ت.628ه/1230م): أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تح عبد الحليم عويس والتهامي نقرة، دار الصحوة ،د.ط، القاهرة، 1965م.

18) مجهول(ت.ق6ه/12م): الاستبصار في عجائب الأمصار ، تح سعد زغلول، عبد الحميد دار النشر المغربية، الدار البيضاء، ط، 1985م.

19) المقري أحمد بن محمد التلمساني (ت.1441ه/1631م): نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح إحسان عباس ، دار صادر، بيروت، 1408هـ- 1988م ، ج1.

20) النووي أبي زكرياء محي الدين(ت.631ه/1277م): تهذيب الأسماء واللغات، ج1 ،تح إدارة الطباعة الحموية دار الكتاب العلمية، لبنان ، ط 1، د .ت .ن.

21) النويري شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت.733ه/1333م): نهاية الأرب في فنون الأدب، (ج24، ج28) تح عبد المجيد ترحين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط، د.ت..

22) ياقوت الحموي شهاب الدين أبي عبد الله بن عبد الله(ت.626ه/1228م): معجم البلدان، (ج1،ج2.،ج3 ،ج5.،ج7.) ، دار الصادر بيروت، ط، 1397 هـ - 1977م.

23) اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب بن واضح (ت.283ه/897م): البلدان، تح محمد أمين ضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط، 1422هـ /2002م.

ثانيا: المراجع العربية والمستعربة

1) الإبراهيمي أحمد طالب، آثار محمد البشير الإبراهيمي، ج1، دار الغرب الإسلامي، القاهرة، ط، 1997م.

2) أدهم علي، بعض مؤرخي الإسلام، مكتبة نهضة، مصر، 2012م.

3) بحاز إبراهيم، الدولة الرستمية 160-296هـ/777-909م ، جمعية التراث، د.م.ن، ط2، 1414م/1993م.

4) البهنسي صلاح أحمد، عمارة المغرب والأندلس في العصر الإسلامي،جامعة عين الشمس ، ط، القاهرة، مصر، د.ت.ن.

5) بوطارن مبارك، تطور العمران الإسلامي مدينتا القيروان و سجلماسة نموذجا، أطروحة دكتوراه ، الدولة في الآثار الإسلامية، جامعة الجزائر 2006م.

6) جعيط هشام، تأسيس الغرب الإسلامي القرن الأول والثاني هـ / السابع والثامن م، بيروت، دار الطليعة ، ط2 2008م.

7)حسن إبراهيم حسن، شرف طه أحمد، عبيد الله المهدي إمام الشيعة الإسماعيلية ومؤسس الدولة الفاطمية في بلاد المغرب، مطبعة الشبكش، مصر، ط، 1947م.

8) زبادية عبد القادر، دراسة عن إفريقيا جنوب الصحراء في مآثر ومؤلفات العرب والمسلمين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط، 2013م.

9) زبيب نجيب، الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس ، دار الأمير، بيروت، ط، ج1.

10) الزركلي خير الدين، ج3، الأعلام، دار العلم للملايين، لبنان بيروت، ط 7، 1986م.

11) سعد زغلول عبد الحميد ، تاريخ المغرب العربي تاريخ دول الأغالبة والرستميين وبني مدرار والأدارسة أيام الفاطميين، ج2، منشأة المعارف للنشر، الإسكندرية، 1993م.

12) شيت خطاب محمود، قادة فتح المغرب العربي،ج1، دار الفكر، سوريا، ط7، 1404هـ / 1984م.

13) الطرابلسي الطاهر أحمد الزاوي، تاريخ الفتح العربي في ليبيا، دار المعارف، مصر ، ط، 1954م.

14) عثمان حمد عبد الستار، المدينة الإسلامية، مجلة عالم المعرفة، الكويت،1988م.

15) العربي إسماعيل، المدن المغربية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط، 1984م.

16) عز الدين أحمد موسى، النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري، دار الشرق، بيروت، ط، 1403م.

17) عكاشة ثروت، القيم الجمالية في العمارة الإسلامية، دار الشروق، القاهرة،ط،1994م.

18) فرنتز روزنثال، علم التاريخ عند المسلمين ، تر الدكتور صالح محمد العلي ، مؤسسة الرسالة ،ط2 ،بيروت 1403هـ /1983م.

19) كحالة عمر رضا، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 8، 1418هـ/ 1998م.

20) محمد زيتون محمد، القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية، دار المنار، القاهرة، ط، 1988م.

21) مرغوليوث، دراسات عن المؤرخين العرب، تر حسين نصار، دار الثقافة، بيروت، 1969م.

22) مؤنس حسين، تاريخ الجغرافيا والجغرافيين في الأندلس، مكتبة مدبولي، ط2، 1986م.

23) مؤنس حسين، فتح العرب للمغرب، مكتبة الثقافة الدينية ، ط1 ، د.ت.ن.

24) نويهض عادل، معجم أعلام الجزائر، المكتب التجاري للطباعة، بيروت، ط، بيروت، 1971م.

ثالثا : الرسائل الجامعية

1) أيوبي مريم، الجيلالي فاطمة، السودان الغربي في كتابات الرحالة العرب المسلمين أبو عبيد الله البكري (ق 5 هـ / 11 م) ، مذكرة مكملة لنيل متطلبات شهادة الماستر في التاريخ ، جامعة أدرار، 2009-2020 م.

2) بناي عودة و توديات، صبيحة المدن الساحلية ومراسيها بالمغرب الأوسط دراسة طوبغرافيا للمدن الساحلية بالمغرب الأوسط ودورها الاقتصادي والعسكري بين القرنين 4-7ه / 11-14 م، مذكرة تخرج لنسيل شهادة الماستر تخصص المغرب الاسلامي الوسيط، جامعة أكلي محند أو لحاج، البويرة ، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، 2014-2015م.

3) بوقاعدة البشير، خراب المدن بالمغرب الأوسط والأدنى بين 296هـ/909م- 547هـ/ 1152م، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المشرق والمغرب الإسلامي، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، الجزائر، 2012-2013م.

4) بولغمال صبرينة، انتشار الإسلام في السودان الغربي من خلال كتاب البكري (القرن 5 ه /11 م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر تخصص دراسات إفريقية ، جامعة الجيلالي بونعمامة،خميس مليانة الجزائر،2018م.

5) سالمي نصيرة وآخرون، عصر ملوك الطوائف في الأندلس بين الانحطاط السياسي والازدهار العلمي(503-422هـ/1031-1110م)، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر تخصص القرون الوسطى ، قسم التاريخ ، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2014-2015م.

6) ضيف خديجة، مدينة بسكرة في العصر الوسيط دراسة تاريخية وحضارية، مذكرة مقدمة لاستكمال شهادة ماستر أكاديمي تخصص تاريخ وحضارة المغرب الأوسط، كلية العلوم الإنسانية، جامعة غرداية، 2015/2014م.

7) طيبي سهام، المعان في بلاد المغرب الإسلامي الوسيط، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر تخصص تاريخ الوسيط الإسلامي، جامعة 8 ماي 1945، قالمة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، 2016-2017 م.

8) يسعد وليد، يسعد حياة، تأسيس مدن المغرب الأوسط (مابين القرن 4- 6ه/10-12م) من خلال مصنف نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري (733-667ه/1278-1333م)، مذكرة

مقدمة لنيل شهادة الماستر تخصص تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط، جامعة يحي فارس بالمدية كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، 2019-2020م.

رابعا : المقالات العلمية

1) أزمان عبيد وناس و مهدي كريم هنادي، منهج البكري في كتاب المغرب في ذكر إفريقية والمغرب، مجلة الباحث، العدد 8، قسم التاريخ جامعة كربلاء، 2013م.

2) بن بوزيان عبد الرحمان، محطات من التاريخ السياسي والحضاري لمدينة فاس منذ النشأة إلى بداية عهد الحماية، مجلة قرطاس الدراسات الفكرية والحضارية، المجلد8، العدد1، 2021م.

3) طيب بوجمعة نعيمة، من حواضر المغرب الأوسط: مدينة تلمسان، مجلة القرطاس، العدد7، جانفي 2018م.

4) بومديونة عبد القادر، كريستوف كلومبوس الجزائريون هم أول من اكتشف قارة أمريكا، دورية كان التاريخية، العدد2، ديسمبر 2008م-1429ه، ص 55.

5) حسن ساجد مخلف، البكري حياته ومنهجه في كتابه المسالك والممالك، مج7، العدد 27، تشرين الأول 2011 م.

6) الربيعي حسين صالح حسن، أثر أبو عبيد البكري الأندلسي في الفكر العربي الإسلامي، مجلة الآداب، العدد 123، كلية الإمام الكاظم للعلوم الإسلامية الجامعة، بغداد العراق، 1439هـ-2017م .

7) سلام صلاح خليل إبراهيم، العلاقات السياسية والحضارية بين إمارة بني صالح في نكور والدولة الأموية الأندلسية، حوليات عين الشمس جامعة حلوان، المجلد 44، يناير مارس 2016م.

8) ابن سويد كناشة، الاثنين 1سبتمبر 2014، بنو برزال (البرازلة: من الأندلس إلى البرازيل عبر بحر الظلمات)، 23:30، 19ماي2023م، https://bin-swauid.blogspot.com/2014/08/blog-post.html?m=1.

9) عثمان أسامة إسماعيل، التخطيط الحضري في بعض مصنفات العلماء المسلمين، دراسة في الفكر الجغرافي، مجلة البحوث الجغرافية، العدد 10، جامعة الكوفة.

10) غانم عبد الغني، مدينة بسكرة نموها وتهيئة مجالها الحضري، حوليات وحدة البحث بإفريقيا العالم العربي، مجلة محكمة، دار الهدى، عيد مليلة، الجزائر، 1999م، مجلد 3.

11) فرحات أحمد، مسجد قباء أول مسجد في عهد نبي الإسلام محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، جريدة النهار، العدد 1627،د.ط،د.ت.ن.

فهرس
الموضوعات

فهرس المحتويات	الصفحة
كلمة شكر وعرفان	
الإهـــــــــــــــداء	
مقدمة	5-2
المبحث الأول: دراسة المصنف والمؤلف	26-6
ترجمة المؤلف	17-7
دراسة ظاهرية للمصنف والتعريف به	18-17
منهج ومصادر المصنف	25-20
المبحث الثاني:آليات تخطيط وعمارة المدن في المغرب الإسلامي	48-28
تأثير الفتح الإسلامي على العمارة في المغرب الإسلامي	35-29
شروط تخطيط وتأسيس المدن في المغرب الإسلامي	38-35
مميزات العمارة في المغرب الإسلامي	45-38
مواد البناء التي استعملت في بناء المدن في المعرب الإسلامي	47-45
المبحث الثالث: مسح لأهم مدن المغرب الإسلامي من خلال مصنف البكري	73-49
المدن في المغرب الأدنى	57-49
المدن في المغرب الأوسط	68-57
المدن في المغرب الأقصى	73-68
الخاتمة	77-75
الملاحق	88-78
قائمة البيبلوغرافيا	96-89
فهرس الموضوعات	99-97